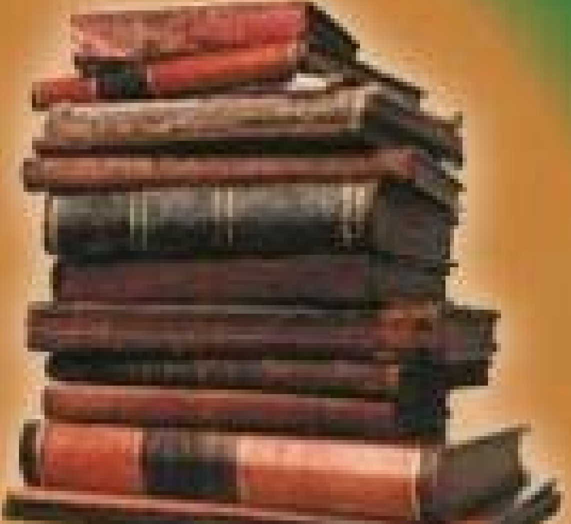
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

صفحات لغوية

(٢)



مكي الحسني

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

مكتبة لسان العرب

صفحات لغوية

٢

مجمع اللغة العربية بدمشق

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

صفحات لغوية

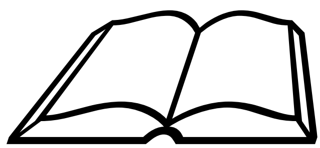
٢

مكي الحسني

١٤٣٧هـ – ٢٠١٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتوى



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

في سنة ٢٠١١ أصدر مجمع اللغة العربية بدمشق - مشكورًا- كُتيِّبًا عنوانه "**صفحات لغوية**"، وهو عنوان الصفحات التي سبق نشرها في مجلة المجمع بدءًا من الجزء الرابع من المجلد ٨٢ (تشرين الأول ٢٠٠٧) حتى الجزء الثالث من المجلد ٨٥ (تموز ٢٠١٠)، وعددها / ١٢/ "صفحة لغوية" شغلتْ ٨٩ صفحة.

وقد لقي هذا الكُتيب رواجًا فأخرج المجمع - مشكورًا- **طبعته الثانية** سنة ٢٠١٤. لقد اهتم القُرّاء بهذا الكتيب، وبكتابي الآخر: "**نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية**" الذي أصدر مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ٢٠٠٩ **طبعته الأولى**، فلَقِي رواجًا جعل المجمع يصدر سنة ٢٠١١ **طبعته الثانية** ثم يصدر سنة ٢٠١٥ طبعته الثالثة.

وحصلت إدارة "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" (الألكسو) سنة ٢٠١٠ على موافقة مجمع دمشق أن تطبع المنظمة في تونس عشرة آلاف نسخة من هذا الكتاب لتوزيعها على الدول العربية تعميمًا للفائدة! وتَسَلَّمتُ سنة ٢٠١٣ أول نسخة منه.

إن اهتمام القرّاء بهذين الكتابين دليلٌ على وَعْيِهم أهميةَ لُغتنا التي هي هويتنا، وعلى إدراكهم ضرورة الحفاظ عليها والدفاع عنها.

لذا رأيت أن أقترح على المجمع إصدار كُتيّب ثانٍ بعنوان: "**صفحات لغوية (٢)**" يضم الصفحات التي نُشرت في مجلة المجمع بدءًا من الجزء الأول من المجلد ٨٦ (كانون الثاني ٢٠١١) حتى الجزء الأول من المجلد ٨٩ (كانون الثاني/ ٢٠١٦) وعددها / ١٢/ "صفحة لغوية".

وقد استجاب المجمع مشكورًا لأُمنيتي، وبذا تكون الصفحات كلها في متناول يد القارئ الراغب فيها. وأُحبُّ أن أبقى متفائلًا، وأن أتخيَّل أن حظَّ هذا الكتيب من القُرّاء سوف يكون مماثلًا لِحَظِّ الكتيب الأول.

إن غرض هذه «الصفحات» وسابقاتها هو توجيه النظر إلى أمرين هما غاية في الأهمية، وكلُّ كاتب حريص على صفاء لغته، عليه أن يتوخّى تحقيقهما.

أوّلهما خاص بحُسْن استعمال المفردات، والثاني: ضرورة خُلُوِّ الأساليب من الركاكة والعُجمة.

١- ففيما يخصّ المفردات ينبغي ألّا يُستعمل **العامّيُّ** من الألفاظ إلاّ عند عدم وجود بديل سليم. فلا يجوز استعمال:

آرمة – تَعْبان – خجلان – خُضار وفواكه – احتار...

مع وجود: لافتة - تَعِبٌ - خَجِلٌ – خُضَر/ خَضْراوات وفواكه- حَارَ...

ويجب ألّا تُستعمل اللفظة **الصحيحة** في غير معناها الذي وُضعت له:

فلا يقال (المُبْهر) إذا أُريد (الباهر)، ولا (تَمَعَّن) في موضع (أمعن).

ولا يقال (التكريس) إذا أُريد التخصيص أو التسخير أو الإرصاد.

ولا يقال (الرَّضْخ) إذا أُريد الإذعان أو الخُضوع [لا وجود لكلمة الرضوخ!].

ولا يقال (استَخدمَ المفتاحَ) لأن المفتاح **غير عاقل!** بل يقال (استَعملَ المفتاح).

صحيح أن مجمعَيْ القاهرة ودمشق أجازا استعمال (استخدمَ) لغير العاقل (مع أن هذا الفعل وُضِع أصلاً للعاقل!)، ولكن مَنْ يأخذ فيما يَكتبُ ببعض القرارات المجمعية – التي تُجيز ما يُخالفُ اللغة العالية **بسبب شيوعه**، وهذا الصنف من القرارات غير مُلْزِمٍ لأحد بطبيعة الحال – فَعَليه أن يتوقع أن يُحكم على لُغَته بأنها **مقبولة فقط!** فإذا كان هذا الحُكم لا يُرضي الكاتب، فما عليه إلّا أن يتجاوز هذا الصنف، وأن يتمسَّك بأساليب اللغة العالية.

وما أجملَ ما قاله عضو مجمعنا، الأستاذ محمد سليم الجندي رحمه الله:

«والركيك من الأساليب أخطر من المفردة الغريبة، لأنه يفسد الأسلوب اللغوي، ويذهب بجمال اللغة وإشراقها، وأخطر من ذلك أنه يُبعد الناشئة والكتّاب عن أساليب العربية، فتنقطع الصلة بينهم وبين لغة العرب في الأدب القديم وفي القرآن الكريم، وتلك الصلة هي النسب إلى إرث الأمة الثقافي. ولو استمرّ التسامح وفتح الباب لقبول كل ما يحكى ويقال ويكتب بحجة شيوعه وانتشاره، لوصل الأمر إلى لغة عربية الحروف غريبة الوضع، ولأصبحت عربية التراث وعربية القرآن غريبة بين العرب».

وفي هذا الصدد يقول مصطفى صادق الرافعي – وهو من أئمة البلاغة والبيان: «إن فصاحة العربية ليست في ألفاظها، ولكن في تركيب ألفاظها، كما أن الهِزَّة والطَّرَبَ ليست في النغمات، ولكن في وجوه تأليفها (تحت راية القرآن/ ١٩)».

- فليس فصيحًا أن يقال: «لعب وزيرنا دورًا مهمًّا في إقرار الاتفاقية الفلانية»، لأن اللعبَ واللهوَ مقترنان في العربية، ثم إن الفعل (لعب) فعل لازمٌ لا يتعدّى بنفسه!

والوجه أن يقال: سعى وزيرنا سعيًا مشكورًا لإقرار الاتفاقية...

أو يقال: قام وزيرنا بعمل / بدورٍ مهمٍّ لإقرار الاتفاقية.

أو يقال: بذل وزيرنا جُهدًا طيّبًا لإقرار الاتفاقية.

أو يقال: أدّى وزيرنا دورًا مهمًّا لإقرار الاتفاقية.

• وليس فصيحًا أن يقال: «وضعتُ فُلانًا في صورة ما جرى في الاجتماع»، لأن هذا التركيب **ترجمة حرفية** عن الإنكليزية!

والوجه أن يقال: «أطْلعتُ فلانًا على ما جرى...»

• وليس فصيحًا أن يقال:

تأكَّدت من كذا	لأن الوجه أن يقال	تأكد لي كذا
أُحيطكم عِلماً بكذا	لأن الوجه أن يقال	أُعلِمكم / أُخبركم بكذا أرجو أن تحيطوا عِلمًا بكذا
تَجاهَلَ خُطورة المكان	لأن الوجه أن يقال	تجاهلَ خَطَرَ المكان

ولكن يصحّ أن يقال: هو يعلم خطورة مكانة فلان لدى رؤسائه.

أي: هو يعلم عِظَمَ قَدْرِ مكانة فلان لدى رؤسائه.

إن بعض المستشرقين هم علماءُ حقيقيون، يتصفون بالنزاهة والموضوعية.

فهذه "آنا ماري شيمل" زعيمة الاستشراق الألماني المعاصر تقول:

"اللغة العربية لغة موسيقية جدًّا، ولا أستطيع أن أقول فيها إلا أنها لا بدّ أن تكون لغة أهل الجنّة!".

وهذا "داوود كاون" المستشرق الإنكليزي يقول:

"هذه اللغة الساميَة التي تفوق جميع لغات الأرض جمالًا وقوةً ودقةً ورِقّة، والتي ليست للعرب فقط بل هي مُلْكٌ للإسلام أجمع".

وهذا "ماسينيون" المستشرق الفرنسي يقول:

"لِيَصْمُدِ العرب، فالعالَمَ بأَمَسِّ الحاجة إليهم، ولْيَحْترموا عربيَّتهم، هذه الآلة اللغوية الصافية، التي تصلح لِنَقْل اكتشافات الفِكر في كافة الأقطار والأمصار، ولْيُحافظوا على أصالتها، فلا تنقلِبَ مَسْخًا مُقَلِّدًا لِلُغاتنا الآريّة، أو أن تتخثّر في حدود ضيقة شأن العبرانية الجديدة التي تخثّرت في الصهيونية المتطرّفة"!

ومن جميل ما قيل في لغتنا العربية، فضلًا على تائيَّة شاعر النيل حافظ إبراهيم المشهورة، التي يقول فيها على لسان العربية:

أنا البحر في أعماقه الدُّرُّ كامِنٌ فهل سألوا الغَوّاص عن صدفاتي؟

أولًا: قول العلامة عز الدين التنوخي، عضو مجمعنا وأمينه العام سابقًا:

إنْ يَهِمْ قيسٌ بليلى زمنا والنُّواسيُّ ببنتِ العِنَبِ
فلقد هِمْتُ وذُبْتُ شجَنا بِبني عمِّي وقَومِي العربِ

ثانيًا: قول الشاعر:

لغةٌ حباها الله حرفًا خالدًا فَتَضَوَّعتْ عَبَقًا(*) على الأكوانِ
وتلألأتْ بالضادِ تشمخُ عِزَّةً وتسيلُ شَهْدًا في فَمِ الأزمانِ

ثالثًا: هذه الأبيات من قصيدةٍ للشاعر اللبناني حليم دموس (١٨٨٨–١٩٥٧م):

لوْ لمْ تكُنْ أمُّ اللغاتِ هيَ المُنى لكسرتُ أقلاميْ وعِفتُ مِدادي
لغةٌ إذا وقعتْ على أسماعِنا كانتْ لنا بَرْدًا على الأكبادِ
ستظلُّ رابطةً تؤلّفُ بيننا فهيَ الرجاءُ لناطقٍ بالضَّادِ
وإذا أرادَ الله يقْظةَ أُمَّةٍ أوحى إليها يقْظةَ الأفرادِ

أخيرًا، أشكر الأخ المهندس مازن الغراوي لتلطُّفه بإخراج هذا الكتاب فنيًّا.

١١/ ٧/ ١٤٣٧هـ

١٨/ ٤/ ٢٠١٦ م

الأمين العام لمجمع اللغة العربية

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

(*) طابت وفاحت رائحتها الطيبة.

إلاّ...؛ وإلاّ...؛ وإلاّ لَـ...[*]

تكون هذه الأداة[2]:

١- للاستثناء، نحو: جاء الطلاب إلّا سعيدًا.

٢- للحَصْر، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

٣- وقد تكون مركَّبةً من (إنْ) **الشرطية** و(لا) النافية، وذلك إنْ وَلِيَها فعل مضارع، ظاهر أو مقدَّر، نحو ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

- قال الأحوص:

فطلِّقْهـا فلسْـتَ لهـا بكُـفْءٍ وإلاّ يَعْـلُ مَفْرِقَـكَ الحسـامُ

[إِلَّا = إنْ لا]، **حُذف فعل الشرط** من التركيب للعلم به، والأصل:

وإنْ **لا تطلِّقها** يَعْلُ مفرقَك الحسام.

نلاحظ أن الكلام المقدَّر بعد (إنْ) نقيض الكلام قبلها: **طلِّقها - لا تطلِّقْها**.

- تَكَلَّمْ بخيرٍ وإلاّ فاسْكُتْ! المعنى: تكلم بخير وإن لا تتكلم بخير فاسكُتْ!

هنا أيضًا الكلام المقدَّر بعد (إن) نقيض الكلام قبلها: **تكلَّمْ - لا تتكلم**.

- لا تَسْبَحْ في الماء البارد وإلاّ مرضْتَ. المعنى: لا تَسْبَحْ في الماء البارد وإن [لا تمتثِلْ: تَسْبَح] مرضتَ. [**لا تسبحْ - تسبحْ**].

٤- وقد تكون مركَّبة من (إنْ) التي **بمعنى (لو)** الوصلية[3]، و(لا) النافية.

(*) نشرت في مجلة المجمع: المجلد / ٨٦/ ، الجزء / ١/ .

(٢) انظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد / ٨٤/ ، الجزء / ١/ ص١٧٥: الأداة إلاّ المتبوعة بفعل.

(٣) مكي الحسني، نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية ص٢٤٣، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ط٣/ ٢٠١٥/.

سأُوْرِد أولاً أمثلة على استعمال (إن) بمعنى (لو):

- الحريص وإن كَثُرَ مالُهُ بخيل! [أي ولو كثر ماله بخيل].

- أكْرِمْهُ وإن أساء إليك! [أي ولو أساء إليك].

- ذلك عصرٌ مضى وإن بقيت آثاره...

• قال عبّاد بن سليمان الصيْمري (أحد رجال الاعتزال المشهورين في عصر المأمون):

إنّ بين اللفظ ومدلوله مناسبةً طبيعيةً حاملةً للواضع على أن يضع، **وإلاّ لكان** تخصيص **الاسم المعيَّن بالمسمّى المعيَّن ترجيحًا** من غير مرجِّح(٤)!

المعنى: ... على أن يضع، ولو ليس بينهما مناسبة لكان تخصيص...

نلاحظ هنا أيضًا أن الكلام المقدّر بعد (لو) نقيض الكلام قبلها:

بين اللفظ ومدلوله مناسبة – ليس بينهما مناسبة.

• ... إنها مصادفة لم يقصد إليها ابن جني، **وإلاّ** لَسَلَكَ هذا المثالَ في باب الاشتقاق الكبير(٥) المعنى: ... ولو قصد إليها لَسَلَكَ هذا المثال. [**لم يقصد– قَصَدَ**]

• ... وهذا ليس مصدره فقدان الحركات الإعرابية، **وإلاّ** لكان يجب أن يكون فهمًا تامًّا من كل وجه.(٦) المعنى: ... ولو كان مصدره الفقدان لكان...

ليس مصدره الفقدان – كان مصدره الفقدان.

• ... هذا لا يصلح شاهدًا على إسماعين وإلاّ لَقِيلَ... (٧)

المعنى: ... ولو يصلح لَقِيل... [**لا يصلح – يصلح**].

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

---

(٤) د. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص١٥٠، دار العلم للملايين، ١٩٨٣.

(٥) المرجع السابق، ص١٤٧.

(٦) المرجع السابق، ص١٣٨.

(٧) بحر العوَّام فيما أصاب فيه العوام، للإمام ابن الحنبلي الحلبي، ص٢٣.

... حتى إذا ...(*)

سأتحدث عن هذا «التركيب» - حتى إذا - حين يأتي في سياق الجملة، لا في بدايتها. وقد ورد كثيرًا في القرآن الكريم (٤٠ مرة) وفي كلام العرب وشعرائهم.

(حتى) في هذا التركيب حرف للابتداء تضمَّن معنى الغاية. و(إذا) ظرف متضمّن معنى الشرط، [والفعل الذي يليه هو فعل الشرط] وهو متعلق بجواب الشرط [الظاهر غالبًا والمحذوف أحيانًا للعِلْم به]. وحين يرد هذا التركيب يكون الكلام قبله معبِّرًا عن حدثٍ دام مدةً **إلى أن** وقع فعل الشرط (المذكور بعد إذا). ولمّا حدث فعل الشرط حدث جواب الشرط. وفيما يلي بعض الأمثلة.

١- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ **حَتَّى إِذَا** هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا...﴾ [غافر: ٣٤].

المعنى: دام الشك في قلوبكم إلى أن هلك يوسف. ولمّا هلك قلتم (جواب الشرط) لن يبعث الله من بعده رسولاً.

٢- قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا...﴾ [الكهف: ٧١]

المعنى: انطلق العبد الصالح (الخضر) وسيدنا موسى من موضع التقائهما، **ودام انطلاقهما** إلى أن ركبا في السفينة (فعل الشرط). ولمّا ركبا في السفينة خرقها (جواب الشرط) العبدُ الصالح.

٣- وفي السورة نفسها: ﴿فَانْطَلَقَا **حَتَّى إِذَا** لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾.

(*) نشرت في مجلة المجمع: المجلد / ٨٦/ ، الجزء / ٢/ .

المعنى: انطلقا ودام **انطلاقهما** إلى أن لقيا غلامًا (فعل الشرط) فقتله الخضر (الفاء عاطفة للتعقيب). ولمّا قتل الغلامَ قال له موسى (جواب الشرط): أقتلت نفسًا...

٤- وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ **حَتَّى إِذَا** فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ...﴾ [آل عمران: ١٥٢]. تتحدث هذه الآية عن مشهدٍ من مَشاهد غزوة أُحُد.

المعنى: لقد صدقكم الله وعده حين كنتم تقتلون المشركين بإذنه (بإرادته) **واستمر** معكم النصر إلى أن فَشِلْتم (فعل الشرط) أي جَبُنْتُم وتنازعتم وعصيتم. ولمّا حدث هذا، حدث جواب الشرط، وهو هنا **محذوف** تقديره **انقسمتم فريقين**: فريق يريد الدنيا والغنائم، وفريق يريد الآخرة وثوابها، فتخلَّف وعدُ الله ومنعكم النصر!

٥- قال ذو الرُّمَّة:

قومٌ يُوارون عما في صدورهُمُ   **حتى إذا** استمكنوا كانوا هم الدَّاءَ

٦- قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١].

سَوْقُ الذين كفروا إلى جهنم دام مدةً إلى أن جاؤوها (فعل الشرط)، ولمّا حدث هذا، حدث جواب الشرط: فُتحت أبوابها...

٧- وفي السورة نفسها: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۞ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ...﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤]. هنا أيضًا سَوق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا دامَ مُدةً إلى أن جاؤوها (فعل الشرط)، ولما حدث هذا، وبعد ترحيب خَزَنة الجنة بهم، حدث جواب الشرط، وهو هنا **محذوف تقديره**: دخلوها! وقالوا الحمد لله...

مُخْتص أم إخْصائيّ؟
أحصى أم أخصى؟(*)

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة[2] بحثًا لأستاذنا سعيد الأفغاني رحمه الله، دار حول كلمتي (أخصى وإخْصاء)، ذكر فيه أن مجلة (المقتبس)، التي أصدرها في القاهرة مؤسس مجمعنا الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله، نشرت في سنة ١٩٠٨ مقالاً عنوانه (الإخصاء في العلوم) بدأه بتعريف المصطلح بقوله: «المُخْصي» هو الذي ينفرد بدراسة فن واحد، من (أخصى الرجلُ إذا تَعَلَّم علمًا واحدًا). وهذه الكلمات الست بين القوسين، منقولة بنصّها من (القاموس المحيط) للفيروز آبادي. وبالفعل جاء في هذا القاموس (مادة خ ص ي):

«الخُصْي والخِصْية بضمّهما وكسرهما من أعضاء التناسل... وأخْصَى: تعلَّم عِلمًا واحدًا» إلخ...

- شرح الزَّبيدي (وهو من علماء القرن الثاني عشر الهجري) القاموسَ المحيطَ في (تاج العروس)، فقال بعد عبارة القاموس (أخصى الرجلُ تعلَّم علمًا واحدًا): **نقله الصغاني، وهو مجاز!** ومن المعلوم أن الصغاني من علماء القرن السابع الهجري (٥٧٧- ٦٥٠هـ)، والفيروز آبادي من علماء القرن الثامن (٧٣٠- ٨١٧هـ).

(*) نشرت في مجلة المجمع: المجلد / ٨٦/ ، الجزء / ٣/ .

(٢) الجزء ٧٤، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٣. وقد زوّدني بهذا البحث صديقي الفاضل ورصيفي المجمعي الأستاذ الدكتور مازن المبارك حفظه الله تعالى.

وظل هذا النقل – كما يقول الأستاذ الأفغاني – موضعَ ريبة، مجهولَ القائل... وبقيت التبعة معلقة بعنق الصغاني رحمه الله.

– وتأسيسًا على هذا قال المُحْدثون: إذا كان الإِخْصاء هو تَعَلُّم عِلمٍ واحد، فالذي يفعل هذا «إِخْصائيّ». ثم حُرِّفت هذه الكلمة فصارت أَخْصائيّ، وازداد التحريف حتى صارت أخِصّائيّ!

وقد استغرب أستاذنا سعيد الأفغاني رحمه الله تعالى، إيراد العبارة المذكورة (أخصى الرجلُ) في مادة (خ ص ي)، لأن معناها المذكور لا صلة بينه وبين هذه المادة، ورأى أن ثمة خطأً – قد يكون من الناسخ الذي رسم الفعل (أخصى) – وأنه لو رسمه (أخصَّ) لكان محله الطبيعي مادة (خ ص ص).

ولكن ماذا جاء في هذه المادة؟

١ – قال الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» (خ ص ص):

«خَصَّه بالشيء خصًّا وخُصوصًا و...: فَضَّله، و**الإخصاص**: **الإزراء**».

ولم يذكر الفعل «أَخَصَّ» الذي مصدره الإخصاص!

٢– وكرر «اللسان» ما قاله الفيروز آبادي.

٣– وجاء في «المعجم الكبير» الذي يواصل إعداده مجمع القاهرة (خ ص ص):

«**أخصَّ** فلانٌ فلانًا، وبه: صار خاصًّا به فهو مُخِصٌّ به ومُخَصٌّ به.

و**أخصَّ** فلانٌ فلانًا بالشيء: خَصَّه به».

ولم يذكر هذا المعجم مصدرَ هذا الفعل **الإخصاصَ**، الذي **معناه هنا غير الإزراء!**

٤– وجاء في معجم «متن اللغة»:

أخصَّ به: أزرى. وأَخَصَّه: خَصَّصه.

٥- وجاء في «محيط المحيط»:

أخصَّ به إخصاصًا: ازدرأه.

٦- وجاء في المعجم العربي الحديث (الذي صدر سنة ١٩٧٣):

«**أخصّ به إخصاصًا**: استهان به.

وأخصَّ فلانًا بكذا: آثره به على غيره.

وأخصّ فلانٌ فلانًا وبه: صار خاصًّا به».

٧- وجاء في «معجم النفائس الكبير» وهو معجم حديث صدر سنة ٢٠٠٧:

«**أخصَّ به إخصاصًا: ازدرأ به**».

أقول: الغريب أيضًا أني لم أجد في المعاجم شرحًا يقول:

«أخصَّ الرجلُ: تعلَّم علمًا واحدًا»، كما لم أجد «الإخصاص» بهذا المعنى، وإنما بمعنى الإزراء والازدراء!

- والأغرب أن جميع المعاجم التي نقلت عبارة القاموس المحيط لم تذكر معنى الفعل (أخصى) الذي له علاقة وثيقة بمادة (خ ص ي) وهو: أخصاهُ = خَصَاهُ! مع أن كتب اللغة أوردت الفعل ومصدره:

- فقد جاء في «البُرْصان والعُرْجان» للجاحظ:

عن زنباع الجذامي أبي روح بن زنباع، أنه قدم على النبي ﷺ وقد **أخصى** غلامه فأعتقه النبي ﷺ.

- ونقل الجاحظ في (الحيوان) ما قاله الشاعر الماجن عمرو الخاركي، ومنه:

ولا والله مـــا أُقْلِـــــعُ مـا عُمِّــرتُ أو أُخْصـــى

- وجاء في «التنبيه والإشراف» للمسعودي:

«ونهى النبي ﷺ في غزوة تبوك عن **إخصاء** الخيل.

– أعود إلى خطأ آخر محتملٍ من الناسخ – لم يُشِر إليه الأستاذ الأفغاني – حين رسم (أخصى) بدلاً من (أحصى)!

جاء في معجم «متن اللغة»:

«أحصاه: عدَّه أو حفظه أو عَقِلَهُ. و**أحصاه: أحاط به علمًا**»!

وهذا المعنى الأخير له صلة وثيقة بما نحن فيه، لأن الذي يتعلم علمًا واحدًا يحيط به على الأرجح، وحينئذ يمكن أن يقال عنه: فلانٌ مُحْصٍ لعِلْمِ كذا.

ولكن لم يُكتب الشيوع لهذا الفعل بهذا المعنى، واستعمل السلَّف فعل «تخصّص» فقالوا: فلان **متخصص في علم كذا** كما قالوا فلان **مختص بعلم كذا**، ولم يقولوا إخْصائي ولا أَخِصّائي!!

قال القفطي في تراجمه: (وعليٌّ هذا من المتخصصين بِعِلمِ النجوم).

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

من أساليب العربية الفصحى

إن أسماء الإشارة واستعمالاتها المألوفةَ معلومةٌ للجميع.

نتحدث هنا عن استعمال خاص للاسمين:

هذا،.../ ذلك،...(*)

جاء في كتاب الإمام الزمخشري «**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**»، في تفسيره لقوله تعالى في سورة الحج:

﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ **ذَٰلِكَ** وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ **ذَٰلِكَ** وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾

١-١- في بداية الآية / ٣٠ / : «(ذلك) خبر لمبتدأ محذوف، أي الأمر والشأن ذلك، كما يُقدِّم الكاتب جملةً من كتابه في بعض المعاني، ثم إذا أراد الخوض في معنىً آخر قال: هذا، وقد كان كذا...» فهو (أي اسم الإشارة) يُذكر **للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد.**

(*) نشرت في مجلة المجمع: المجلد / ٨٦/ ، الجزء / ٤/ .

١–٢– في بدايــة الآيــة / ٣٢/ ، (ذلــك) خــبر لمبتــدأ محــذوف، والتقــدير: **الأمرُ ذلك!**

١–٣– وعن قوله تعالى في سورة الحج أيضًا:

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

يقول المفسرون عما جاء في بداية الآية / ٦٠/ : «(ذلك) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: **الأمرُ الذي قصصناه عليك ذلك**. أي ما قصصناه عليك من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين هو ذلك، لا تغيير فيه ولا تبديل.» فهي كلمة يؤتى بها على عادة الفصحاء **للانتقال من كلام إلى آخر**، ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ...﴾.

– وعن قوله تعالى في سورة محمد:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾

في بداية الثلث الأخير من الآية / ٤/ ، (ذلك) خبر مبتدأ مقدر: **الأمرُ ذلك**. أي: الأمر فيهم ما ذُكِر.

٢-١- وعن قوله تعالى في سورة ص:

﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ **هَٰذَا ذِكۡرٞۚ** وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ **هَٰذَاۚ** وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ ﴾

أ- يقول المفسرون عما جاء في بداية الآية / ٤٩/ ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ ﴾، جملة من مبتدأ وخبر، قُصد بها الفصلُ بين ما قبلها وما بعدها، فهي للانتقال من غرضٍ إلى آخر، ففيها تخلُّصٌ[٢] من قصة.

(أقول: والمعنى: هذا ذكرٌ [لأولئك **الأخيار** المذكورين في الآية / ٤٨/ السابقة] بالثناء الجميل **هنا**، وإن للمتّقين – وأولئك منهم – حُسْنَ مَآبٍ **في الآخرة**.)

ب – في بداية الآية / ٥٥/ ﴿هذا﴾، خبرُ مبتدأ محذوفٍ، والتقدير «الأمر/ الشأن هذا»، أو: «هذا» مبتدأ خبره محذوف، **أي للمؤمنين**. وكما نرى فإن القصد من هذه الكلمة (هذا) هو الانتقال من الكلام على المتقين إلى الكلام على الطاغين.

٢-٢- جاء في كتاب «**دلائل الإعجاز**» للإمام عبد القاهر الجرجاني (ط٣ – ١٩٩٢م، التي قرأها وعلّق عليها محمود محمد شاكر) فصلٌ في ص١١ عنوانه: **في الكلام على مَن زَهِدَ في رواية الشِّعْر وحِفْظه، وذَمَّ الاشتغالَ بعلمه وتَتَبُّعِه.**

(٢) «التخلّص» مصطلح نقدي، لعل أول من استعمله – إن لم يكن هو مَن وَضَعَه – أبو عبيدة معمَّر بن المثنى، من علماء مدرسة البصرة (ت٢١١هـ). ويُراد به انتقال الشاعر – أو الكاتب – **وخروجه** من غرضٍ إلى آخر. انظر أيضًا هذه المجلة، المجلد ٨٦، الجزء الثاني، الصفحة ٥٢٥.

قال الإمام بعد تمهيد:

...«أما من زعم أن ذمَّه له من أجل ما يجد فيه من هَزْلٍ وسُخْفٍ وكذبٍ وباطل، فينبغي أن يَذُمَّ الكلام كلَّه، وأن يفضِّل الخرسَ على النطق، والعِيَّ على البيان، فمنثور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه، ... ، ... إلى أن قال في الصفحة ١٢:

هذا، وراوي الشِّعْر حاكٍ، وليس على الحاكي عيبٌ، ولا عليه تَبِعَة، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً، أو يسوءَ مسلمًا، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار**!**...».

٢-٣- وفي الصفحة ١٣٦ فصل عنوانه: «**مواضع التقديم والتأخير**»، جاء فيه:

«... أفلا ترى أنك إذا استبطأت إنسانًا فقلت:

«أتانا والشمس قد طلعت»، كان ذلك أبلغ في **استبطائك** له من أن تقول: «أتانا وقد طلعت الشمس»؟ وعكس هذا أنك إذا قلت: «أتى والشمس لم تطْلُع» كان أقوى في وصفك له **بالعَجَلة** والمجيء قبل الوقت الذي ظُنَّ أنه يجيء فيه، من أن تقول: «أتى ولم تطلع الشمس بعدُ».

هذا، وهو كلام لا يكاد يجيء إلا نابيًا، وإنما الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم وتبني الفعل عليه كقوله: «قد أغتدي والطيرُ لم تَكلَّمِ.»

فإذا كان الفعل فيما بعد هذه الواو التي يراد بها الحال، مضارعًا، لم يصلح إلا مَبنيًّا على اسم كقولك: «رأيتُه وهو يكتب»، و«دخلتُ عليه وهو يُمْلي الحديث».

وقد استعمل الجرجاني هذا الأسلوب في مواضع كثيرة من كتابه المذكور، منها ما صادفته لدى تقليب أوراقه في الصفحات: ٣٦٠، ٤٠٣، ٤٥٤، ٥٧٩، ٥٩٧.

٣-١- في كتاب «**أخطاؤنا في الصحف والدواوين**» الصادر في دمشق سنة ١٩٣٩ لصلاح الدين الزعبلاوي، الذي نَوَّهَ بمكانته اللغوية الشيخ اللغوي الشهير محمد الخضر حسين، وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين وغيرهم، تحدث المؤلف عن ضرورة تدارك ما فات العربية من مسايرة وجوه التعبير، وأن هذا من واجب الحكومات والمجامع العربية والكُتّاب العرب، ثم قال في الصفحة ٢٢: «ولو قنعنا بغير ذلك والكتّاب من لغتهم على ما ترى من البعد والغربة، وهي منهم على ما ترى من النُّبُوِّ والنُّشوز، لخرجتْ لنا على أيديهم لغة مستحدثة لا تَمُتُّ إلى أصل ولا تتصل بأرومة.

ذلك، وإذا مضت حكومات الشرق العربي في ابتغاء هذا القصد في مواضعة وائتمار، فعلى وزارات معارفها[٣] أن تقوم بأوفى حظٍّ من هذه الخدمة في مدارسها. ففي مناهج تعليم اللغة وأساليب دراسة نصوصها، بل في طريقة تدريب الطلاب على استقراء قواعدها وخصائصها والتماس نُظُم تأليفها، وفيما ينبغي أن يؤخذوا بحفظه واستظهاره من أصولها، وما يُختار لهم اطّراحه من تعريفاتها، وفيما يستحسن أن يتداولوه من مؤلفاتها ومعاجمها وما يؤثر أن يُلِمُّوا به من كل فرع من فروعها، بل في وجوه إشاعتها والتلطُّف لها وحمْل الطلاب على محاولة النطق بها كلما اتسعت لهم هذه المحاولة، فضلاً عن برامج تدريسها في السنوات الابتدائية والثانوية؛ في كل ذلك مجال للمعالجة والمعاناة رحيب، ومتسَع للتثقيف والإصلاح رغيب». (إلى آخر هذا الكلام البديع، الذي قيل قبل أكثر من سبعين سنة من الآن، وكأنه قيل أمس.)

---

(٣) كانت وزارة التربية تسمى وزارة المعارف.

كما نرى، انتقل الكاتب من عرض الفكرة وضرورتها، إلى سُبُل تحقيقها... ونصادف هذا الأسلوب في كتاب الزعبلاوي في غير موضع، كما في الصفحات ١٧ – ٢٢ (ذلك...)، والصفحات ٧، ١٣، ٢٧ (هذا،...).

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

تعقيب على «نقد صفحات لغوية»(*)

نشرت هذه المجلة في الجزء الرابع من المجلد/ ٨٦/ في باب المقالات والآراء، مقالًا للزميل المجمعي الدكتور ممدوح خسارة، انتقد فيه خمس مسائل وردت في كتابي (صفحات لغوية) وهو الكتاب الثاني الذي كرَّمني المجمع بإصداره.

ضمَّ هذا الكتاب «الصفحات» التي سبق أن نشرتْها مجلة المجمع مشكورة في باب (المقالات والآراء) في اثني عشر جزءًا (عددًا) بدءًا من المجلد ٨٢/ ٤ (تشرين الأول ٢٠٠٧) حتى المجلد ٨٥/ ٣ (تموز ٢٠١٠) على امتداد ثلاث سنوات تقريبـًا، لم أسمع خلالها من زملائي المجمعيِّين (ولا من غيرهم) أيَّ تعليق إيجابي أو سلبي على هذه الصفحات...

و الآن جاء «نقد» د.خسارة للكتاب!

حين قرأتُ عنوان المقال واسم الكاتب الزميل، توقعتُ أن يكون الكلام موضوعيًّا ولا تُشْتمُّ منه رائحة التعالم ولا الانتقاص، ويذكر ما للكتاب وما عليه (في رأيه) بحيث أُفيد أنا والقراء من ملاحظاته إن كانت في محلّها...

وقد جرى العُرف أن يُوطِّئ الناقد – ولو كان لا يعرف المؤلِّف شخصيًّا – بشيء من الثناء في الأقل على الكتاب موضوع النقد، ثم يبادر إلى إبداء ملاحظاته برفق وموضوعية. هذا ما تقتضيه حُرمة البحث والأمانة العلمية. ولكن – وياللأسف – خاب ظني: ذلك أن الزميل الكريم لم يكن دقيقًا في نقل الكلام المقبوس من «صفحاتي اللغوية»، وكان يفهم كلامي فهمًا عجيبًا، فيُقَوِّلني ما لم أَقُل، أو يجتزئ بعبارة من كلامي ثم يكمل من عنده! وهذا ما سيتضح للقارئ قريبًا...

(*) نشرت في مجلة المجمع: المجلد / ٨٧/ ، الجزء / ١/ .

فقد بدأ مقاله بالقول: «قد يسبق إلى ذهن بعضهم أن ما ورد في الكتاب من أقوال وأحكام يمثل آراء المجمع،...، ولكن الثابت أن آراء المجمع تمثلها قراراته التي تقرُّها مؤتمراته بعد أن تكون قد بُحثت في لجانه العلمية المتخصِّصة وفي مجلسه».

هذا التحفظ ليس في محلّه، لأني كتبت مقالاتي في مجلة المجمع باسمي قبل وبعد انتخابي أمينًا عامًّا للمجمع. ولم يرد في كلامي أيُّ إشارة تُوهم أن ما أقوله يمثل آراء أعضاء المجمع الآخرين. ومن المعلوم أن كل مقال أو كتاب يُنشر إنما يعبّر عن آراء كاتبه ومؤلِّفه. أما قرارات المجمع فسوف أتحدث عنها فيما بعد.

ثم قال د.خسارة (صفحة ١١٣٦) «إن أبحاث الكتاب يمكن أن تصنّف تحت ضربين: الأول: يشمل كلمات أنكرها الباحث وخطَّأها، وهي أَدْخَلُ في الصرف والدلالة.

الثاني: ويشمل التذكير بأحكام نحوية ثابتة مبسوطة في كتب النحو... ولا أجد خلافًا مع الباحث الفاضل فيما ذهب إليه في الضرب الثاني».

يريد الناقد أن يقول إن الضرب الثاني هو مجرد نقلِ أحكامٍ نحوية، ليس فيه أيُّ مزيَّة، وإن موادَّه لم تتعرض لتشويهٍ أو تحريف، ولا اعتراضَ على صحتها. ولم يشأ أن يذكر شيئاً عن طريقة عرضها الجديدة التي تُيسِّر على الباحث الوصول إلى مبتغاه في لحظات، بفضل الجداول والتبويب السهل، بدلًا من تقليب عشرات الصفحات في كتب النحو! لعلّ د.خسارة وجد صعوبة بالغة في الثناء على هذه الطريقة الجديدة، وفضّل أن يقول (ص ١١٣٦): «يمكن أن يُسْلك هذا الكتاب مع كتابه السابق (نحو كتابة علمية) في عداد كتب التصحيح اللغوي التي تجاوزت المئة لهذا العصر».

أليس غريبًا ومستهجنًا أن يورد د.خسارة اسم كتابي الأول، الذي صدر أيضًا عن مجمع اللغة العربية، هكذا: (نحو كتابة علمية)! مع أن عنوان الكتاب هو(نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية) ؟ هل هذا متعارفٌ لدى النُّقّاد ؟!

كتابي الأول قرَّظه الزميل المجمعي الكريم الدكتور عبد الإله نبهان في جريدة «الأسبوع الأدبي»، فكتب عنه نحوًا من خمس صفحات من القَطْع المتوسط. وكان زميلٌ مجمعي آخر (هو الأستاذ الفاضل مروان البواب، الذي عمل في ميدان التصحيح اللغوي، فاطَّلع على أكثر من عشرين كتاباً في هذا الباب، ووضع كتابًا عنوانه «دليل الأخطاء الشائعة في الكتابة والنطق») قال لي: «إن النهج المتّبع في كتاب «نحو إتقان الكتابة...» غير مسبوق، لأنه لا يكتفي ببيان عِلَّة الخطأ، وإنما يورد أبدالًا كثيرة ليختار منها الكاتب ما يناسب المقام، وفي هذا خدمة كبيرة له. كل ذلك فضلًا على ما جاء فيه من مواد جديدة لم يسبق أن بُحث فيها».

وأثنى خطِّيًّا على كتابي الأول هذا أربعة أعضاء مجمعيين آخرين، عاملين ومراسلين، وبعض أساتذة كلية الآداب بدمشق. أما د.خسارة فرأى أن يخالف زملاءه المجمعيين والآخرين جميعًا، ولم يطاوعه قلمه على أن ينوِّه بالكتاب ولو بكلمة واحدة، واكتفى بأن ألحقَهُ مع كتابي الآخر(صفحات لغوية) بمجموعة كتب التصحيح اللغوي، التي تجاوز عددها المئة كما قال، مُوحياً للقارئ أنه لا مزيَّة لهما!

صدرت الطبعة الأولى من كتابي «نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية» في ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٩م. وبعد سنة واحدة نَفِدَت نسخه، فرأت إدارة المجمع إعادة طبعه، ولكن تأخرت المطبعة في تنفيذ الطلب، فصدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب في أوائل عام ٢٠١١م.

وكان السيد رئيس مجمعنا قد تسلّم في ١٢/٨/ ٢٠١٠م. رسالة من السيد الأستاذ الدكتور أبو القاسم البدري، مدير إدارة العلوم والبحث العلمي في المنظمة

العربية للتربية والثقافة والعلوم جاء فيها: «اطلعنا بمزيد من التقدير على محتويات المطبوع الصادر عن مجمعكم الموقر والموسوم بـ «نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية» لمؤلفه أمين عام المجمع سعادة الأستاذ الدكتور مكي الحسني،...، ورغبة في الاستفادة من محتويات هذا المطبوع الهام، فإننا نود دراسة إمكان التعاون مع مجمعكم الموقر من أجل إعادة طباعة عشرة آلاف نسخة من هذا المطبوع،...، لتوزيعها على جميع اللجان الوطنية للتربية والثقافة والعلوم بالدول العربية،...».

وقد حالت الأحداث التي وقعت في تونس الشقيقة دون تنفيذ ما اتفقت المنظمة المذكورة عليه مع مجمعنا حتى الآن...(٢)

قرَّظ أيضًا هذا الكتاب [بعد أن اطلع عليه على الشابكة في موقع «الشبكة الريفية» (ريف نت)] رجلٌ لم يسبق لي أن رأيته أو سمعت به: إنه العلاّمة الشيخ فريد بن صلاح الهاشمي، الشهير بـ «فريد الدين آيدن» شيخ مشايخ الديار التركية وهو – كما علمت – من العلماء والمؤلفين والمدققين، والدعاة العاملين. علَّق هذا الرجل الفاضل على الكتاب بما يلي:

«وقفتُ على قبسٍ من سطور الكتاب الموسوم «إتقان الكتابة باللغة العربية» للعالم المُبجَّل الدكتور مكي الحسني، حفظه الله، وبي من السرور ما يجِلُّ عن الوصف. ياله من كتاب، ولَنِعْمَ القلمُ المِدرارُ الذي أفاض علينا هذا القَدْر العظيم من الدلالة والإرشاد في سطور وجيزة. تلميحاته إلى عظمة اللغة العربية ومكانتها وعالميّتها، ونقده الموجَّه إلى الذين يتغافلون عن هذه الحقيقة، وكشفه عن الأخطاء الشائعة على لسان أبنائها، تبلغ من القيمة العلمية ما لا يكافيها المدحُ مهما بالغ فيه المُعْجَب. فهنيئاً لهذا العالمِ الفذِّ في تتبُّعِهِ الواعي ومزيداً من العطاء».

---

(٢) هذا ما جاء في مجلة المجمع، ولكني ذكرت في ((التقديم، ص٧)) ، أن الكتاب طبع في تونس.

أما الضرب الأول فمَهَّدَ د.خسارة لنقد مسائله بالتعليق على شيء مما قُلته في مقدمة الكتاب ونصُّه: «ولستُ من أنصار التشدد والغلوّ حين يصير حَجْرًا على العقول والأذواق، ولكني أؤيد التشدد المستنير الذي يدعو المترخّصين إلى عدم الانفلات من الضوابط التي لا قوام لأيّ لغة إلّا بها».

هذا ما قلته، وهو واضح كل الوضوح. ولكن د.خسارة علّق على كلامي قائلًا: «وإذا كان الكاتب الكريم يصف نفسه بالمتشدد المستنير فلا أحد يصف نفسه بالمتشدد المستعتم»!

أولاً: أنا لم أصف نفسي بالمتشدد المستنير، وما كان ينبغي له أن يُغيّرِ كلامي. ثم هل هو يعارض التشدد المستنير ويؤيد الانفلات من الضوابط ؟ ما الذي غاظه إذن من عبارتي تلك ؟!

ثانياً: في النقد العلمي الجادّ، لا يُلجأ إلى أسلوب المناقضة (مستنير – مستعتم) فهذا غير مقبول! ليت د.خسارة لم ينزلق إلى هذا النمط من الكتابة!

والآن إلى اعتراضاته على مسائل الضرب الأول.

قال في (ص ١١٣٦) «ولكنني أخالفه الرأي فيما ذهب إليه من تخطئة كلمات (المِصْداقيَّة، التَّوعية، الآنف الذكر، لبَّى، استعمل)».

سبحان الله! لماذا يقَوِّلني ما لم أَقُل ؟! أنا لم أُخَطِّئ (المصداقية والتوعية) وإنما ذكرتُ أنه لا حاجة باللغة إليهما، كما سأبيّن بعد قليل. ثم هل يتصور أحدٌ أن أُخطِّئ (أنا أو غيري) فِعل (لَبَّى أو استعمل) ؟! ماهذا الكلام العجيب ؟! الذي ذكرته هو مَواضع استعمال هذين الفعلين استعمالاً صحيحاً، لا كما يستعملان في الجرائد... وأوردت نماذج من فصيح الكلام زيادةً في التوضيح.

١ - المصداقية

ذكر د.خسارة أني «لا أرى مسوِّغًا لاستعمال «المِصْداقيَّة» لأن الوجه أن يقال: التصديقية أو الصِّدقية...» وهذا ما قُلتُه حقّاً. ثم قَوَّلني ما لم أقل: «وحُجّته في ذلك أن معاجم اللغة أوردت «مصداق» ولم تورد «مصداقية» هل يجوز لمثل د.خسارة أن يفعل هذا ؟ أنا لم أقل هذا الكلام!

ثم أضاف «ولا حجة له في أن الكلمتين (صِدقيَّة وتصديقية) هي (كذا) آصَلُ من «مصداقية»... والخلاف إذن هو في (أن لا حاجة إلى كلمة «مصداقية») والجواب: لماذا لم يقل: لا حاجة لكلمة «تصديقية» أيضًا ما دام عندنا المصدر الصناعي الآخر «صدقية» ؟

ياسبحان الله! أولًا ، أنا لا أرفض (المصداقيَّة) لأنها غير واردة في المعاجم، فلماذا يلصق بي هذه «التهمة» الباطلة ؟

ثم هو يستغرب قبولي (التصديقية والصدقية) وعدم قبولي (المصداقيَة)، كأن الكلمات الثلاث متكافئة ولها معنى واحد! وهذا يدعو إلى العجب! ويَنسُب إليّ ظلماً (ص ١١٣٧) أن «دعوى وجود كلمة يُغْني عن غيرها إذا كانت الكلمة بدلالتها، هي دعوى خارجة عن منطق اللغة،... ولعل الباحث الكريم غلب عليه هنا منطق العلوم البحتة، أما اللغة فلها منطقها الخاص، الذي جعل العرب يجمعون كلمة (الأَجَمة) على (أُجُم وأَجَمَ وآجام وإجام) مع أن جمعًا واحدًا أو اثنين يكفيان للدلالة، فهلّا اعترض عليهم أن وضعوا خمسة جموع لكلمة ثانوية؟...» وهذا كلام لم أقُل به! مع أنه أَقَرَّ (في ص ١١٣٧) بأن المصدر الصناعي تحديداً يجب أن يؤدي زيادةً في المعنى على الكلمة التي صُنع منها، وإذن «مصداقية» لا تكافئ «مصداق»!

المشكلة هي أن الزميل الكريم لم يُدرك الفرق بين معاني الكلمات الثلاث.

فتصديقية الشيء هي كونه قابلًا للتصديق، أي يمكن تصديقه، وصِدقية الشيء هي كونه صِدقًا. أما (المصداقية) فما معناها ؟

جاء في معاجم اللغة: (مِصداق الأمرِ: الدليل على صدقه. يقال: هذا مصداق ذاك، أي: هذا دليلٌ على صدقه).

هذا يعني أن من يريد الحديث عن مصداق أمرٍ ما، عليه أن يورد الدليل على صدقه. على سبيل المثال، مصداق قوله تعالى في مستهل سورة الروم: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ هو أن الفُرس الذين غلبوا الروم أولًا ، هزمهم الروم فعلاً في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وهذا هو الدليل. [من المعلوم أن البِضع في العدد: من الثلاث إلى التِسْع].

و إذا قبلنا جدلًا دعوى د. خسارة، التي سأُفنِّدها لاحقًا، وهي أن (مصداق = مصداقية) فَلْنُحلِّلْ عبارة المجمع القاهري:

«مصداقية هذه الدولة صحيحة ومصداقية تلك غير صحيحة» أي، على طريقة د.خسارة: (مصداق هذه الدولة صحيح، ومصداق تلك غير صحيح). فإذا عوّضنا عن كلمة مصداق بمعناها المعجمي، صارت العبارة كما يلي: «الدليل على صدق هذه الدولة صحيح، والدليل على صدق تلك الدولة غير صحيح»، ويثور فورًا السؤال الآتي: أين هو هذا الدليل الذي حُكم عليه بأنه صحيح أوغير صحيح ؟!!

أهذا هو «منطق اللغة» الذي ذكره د.خسارة وطالب باحترامه، لأنه يخالف «منطق العلوم البحتة» الذي أتقيد به ؟!

قلتُ في «صفحاتي اللغوية» [لا أعتقد أن مجمع القاهرة كان موفَّقًا في إجازته مثل هذا الكلام]. و«الكلام» المقصود هنا هو تلك العبارة المذكورة آنفًا!

إن إجلالي لمجمع القاهرة ولغيره من المجامع، وللعلماء الكبار لا يمنع من النقد،

إذ لا يجوز تعطيل العقل عن العمل. ها هو ذا الدكتور شوقي ضيف رحمه الله، رئيس المجمع القاهري الأسبق، ينتقد في كتابه «تيسيرات لغوية» عددًا من قرارات المجمع القاهري نفسِه، ويُعرب عن رغبته في تعديلها أو تغييرها. أفلا يحق لغير د. شوقي ضيف أن يُعمل فِكرهُ في قرارات المجمع ؟ علمًا بأن قرارات مجمع القاهرة (خلافًا لقرارات لجنة اللغة العربية في مجمع دمشق التي سعى عضو اللجنة د.خسارة لإصدارها باسم المجمع مع أنه لم يُصَوَّت عليها!) يجري التصويت عليها قبل إقرارها، ويُذكر في محاضر الجلسات أن القرار الفلاني أُقِرَّ بالإجماع أو بالأكثرية، واعترض عليه العضو الفلاني قائلًا...

لذا أعود فأقول: ما زلتُ أعتقد أن المجمع القاهري – ومَن تابَعَه – لم يكن مُوفقاً في إجازة العبارة المذكورة. هذا رأيي، وأنا لا أُلزم به أحدًا، ومن حقي أن أضعه في كتابي ولا أُسقطه منه كما اقترح د. خسارة! وبالمناسبة، هل نُسقِط النحو الكوفي لأنه يخالف النحو البصري ؟!

وإذا بدا لُمعترضٍ أن يخالف رأيي، حَسُن به أن يقدِّم تعليلاً منطقيًّا سليمًا، لا أن يعترض دفاعًا عما لا يستحق أن يُدافَع عنه. وفي أثناء حديث د.خسارة عن المصداقية والمصدر الصناعي قال غامزًا: «التقدمية – وأرجو ألاّ يعترض عليها الباحث الكريم (يريدني أنا) – لا تعني التقدم فحسب، بل تعني أيضًا...».

يريد د.خسارة أن يُظهرني بمظهر الرافض للمصدر الصناعي عمومًا، لا المصداقية فقط، مع أن كتابي الأول – الذي قرأه د. خسارة– عرضتُ فيه لمسألة المصدر الصناعي ودلالاته اللغوية المختلفة، في العلوم الأساسية والتطبيقية خاصة، فكتبتُ في هذا الموضوع الفقرة (٣٧) التي شَغَلت سبع صفحات، وأوردت – على سبيل التوضيح – تعريفات دقيقة لأكثر من عشرين مصدرًا صناعيًّا منها التقدمية

(التي يرجوني د.خسارة ألاّ أعترض عليها)، الإنتاجية، الاتفاقية، الاشتراكية، الشيوعية، الرأسمالية، الشخصية، الإباحية، العقلية، الخاصية، الخصوصية، الاحتفالية، الالتصاقية، النفاذية، المُتاحية، الموثوقية، الجاهزية، السُّمِّية، المِطيافية، الناقلية، إلخ...

وكان غرضي من ذلك بيان الفرق في المعنى بين كلٍّ من هذه المصادر الصناعية والكلمة التي صُنع منها، لأن اللفظين غير متكافئين معنًى! خلافاً لما ذهب إليه د.خسارة، وأَوردَ مثالًا على التكافؤ:

أُجُم = أَجَم = آجام (وهذه كلها جمع أَجَمة).

وهو يرى (ص ١١٣٨) أن «منطق اللغة» يقبل «أن التوسع في توليد الألفاظ المطابقة في المعنى أو المترادفة، للوفاء بحاجات التعبير البلاغي أو الشعري أو لمجرد التجديد، هو من مذاهب العربيةِ»!

لذا لا مانع في رأيه من قبول التكافؤ بين (المصداقية) و(المصداق) «فالتعبير البلاغي يقتضي ذلك»! مع أنه أقر (ص ١١٣٧) كما ذكرنا قبل قليل بأن المصدر الصناعي تحديدًا يجب أن يؤدي زيادةً في المعنى على الكلمة التي صُنع منها، فما هذا التناقض ؟!

لقد أجمع العلماء الثقات من أهل اللغة على أن المسموع عن العرب يستعمل ولا يقاس عليه، إلا للضرورة.

والمترادفات المثبتة في المعاجم (جموع أجمة مثلًا) سُمعت عن العرب، ولا داعي لارتجال مترادفات جديدة لغير ضرورة مُلِحَّة.

وفي الدفاع عن «حاجات التعبير الشعري» وما يضطر إليه الشاعر، عَرَّج الناقد على الضرورة الشعرية وعَدَّها من مذاهب العربية!!!

فذكر أن بعض النحاة أجازوا للحطيئة والعجّاج ولبيد أشياء «عجيبة»، لكنه لم يذكر أن نحاةً ولغويين آخرين هاجموا بقوة هذه «الضرورة الشعرية»! لقد بحث في هذه المسألة أكابر العلماء كالخليل وسيبويه وابن قتيبة وابن جني وابن فارس والزمخشري وابن مالك... ولا حاجة بي هنا إلى عرض التفاصيل، وأكتفي بالقول: كل قاعدة في اللغة فللشاعر «المضطر» أن يكسرها! هذه خلاصة آراء أنصار «الضرورة». والسؤال المهم هنا هو: هل ضاقت على العرب المعاصرين سُبل التعبير النثري حتى «اضطروا» إلى ارتجال «المصداقية» ؟!!!

ثم اتهمني د.خسارة بأني أُضعِّف مصادر صناعية أخرى، مثل: «إمكانية، استمرارية، صوابية، إشكالية، نمطية» وحقيقة الأمر أني وجَّهت إلى «لجنة اللغة العربية وعلومها» في المجمع - و د.خسارة عضو فيها - كتابين مؤرخين في ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٩ م و٢٧/ ١/ ٢٠١٠م، رجوت فيهما وضع تعريفات دقيقة للمصادر الصناعية التي ذَكَرَها ولغيرها أيضاً، وبيان الفرق في المعنى بينها وبين الكلمات التي صُنعت منها، ولكن اللجنة لم تفعل.

٢- استعمل، استعمال – استخدم، استخدام

قلت في (صفحات لغوية / ٥٧): «إن لغتنا جميلة جدًّا، ويتألق جمالها حين ينطق بها المُجيدون، أو يكتب بها المتقنون. وتظهر الإجادة في حُسْن استعمال ألفاظها، ويتجلى الإتقان في سبك هذه الألفاظ في تراكيب سليمة أصيلة...»

وقلت (ص ٦٥): «فعل(استخدم) مختص بالعاقل – وهذا ما أوردتْه المعاجم – وأما لغير العاقل فلُغةٌ غير فصيحة، والفصيح (استعمل)».

ولستُ أول من أشار إلى هذا، فقد سبقني الأستاذ صبحي البصّام، والأستاذ

صلاح الدين الزعبلاوي رحمهما الله، وهُما ما هُما(٣) وذكرتُ المَراجع التي تضمنتْ كلامهما. ثم أوردتُ نماذج من كلام بعض الفصحاء، كالإمام عليّ بن أبي طالب، والإمام الزمخشري، والخليل بن أحمد، والجاحظ، والصاحب بن عبّاد وغيرهم، تؤكد أنهم لا يستعملون لغير العاقل إلّا (استعمل). ولم يأت في كلام علماء عصر الاحتجاج – ولا في كلام الفصحاء من بعدهم بقرون – (استخدم) لغير العاقل، وهذا بعد استقراء واسع! وختمتُ كلامي عن فعل (استعمل) بالعبارة: «فمن تَوَخَّى اللغة العالية جارى الفصحاء».

هل في هذه العبارة تحريم أو تخطئة لاستعمال اللغة غير الفصيحة ؟!

أم هي دعوة، لمن يرغب في جعْل لغته متينة عالية، إلى مجاراة الفصحاء ؟ فبماذا علَّق الزميل الكريم د.خسارة على كلامي ؟

قال (ص ١١٣٩): «تابع د.الحسني من سبقه في تخطئة هذه الكلمة (استخدم)... وعبارته في خلاصة بحثه مربكة إذ قال: فعل (استعمل) للعاقل وغيره، أما (استخدم) فللعاقل فقط. وهي عبارة تقضي بالتخطئة، وقال بعدها: «فمن توخَّى اللغة العالية جارَى الفصحاء». وهي عبارة تحكم بالتضعيف».

سبحان الله العظيم! أليس عجيبًا جدًّا أن يفهم د.خسارة عبارة (لغة غير

---

(٣) (ما) تكون بمعنى (مَن). قال الإمام ابن جُزَيْ الغَرناطي في «التسهيل لعلوم التنزيل» حين فسَّر الآية الثالثة من سورة البلد: ﴿ووالدٍ وما وَلَدَ﴾: «لم يقُل ومَنْ وَلَدَ، إشارةً إلى تعظيم المولود».

وأشار الإمام الزمخشري في الكشّاف إلى أن في قوله تعالى: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ آل عمران/ ٣٦، «تعظيمًا لموضوعها (يريد: لمولودها، م ح) وتجهيلًا لها بقدْر ما وَهَبَ لها منه». والمقصود بـ (ما) السيدة مريم أُمُّ سيدنا عيسى عليه السلام .

وكذلك فَعَل في تفسير الآية الثالثة من سورة الليل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾. فبعد أن أقْسَمَ تعالى بالليل والنهار أقسم بنفسه. قال الزمخشري: «(ما): القادر العظيم القدرة، الذي قَدَرَ على خَلْقِ الذكرِ والأنثى». ولذا يقول الفصحاء عن إنسانٍ عظيم:... وهو ما هو! [لا: وهو مَن هو] .

فصيحة) أنها (خطأ) ؟! وأن يقول عن عبارةٍ واضحة ناصعة إنها مربكة، وأن دعوتي إلى استعمال اللغة العالية تَحْكمُ بضَعف من لا يتوخّاها ؟!

وقال د.خسارة (ص ١١٣٩) «مجتهدًا» «ولكننا نرى أن الفعل (استخدم) يستعمل للعاقل وغيره، وأدلتنا إلى ذلك ما يلي: ثم أورد ثلاثة «أدلَّة» وعشرة «شواهد» كلّها حُجّة عليه لا له! لأن طريقته في الاجتهاد غريبة عجيبة، وفي الاقتباس تقوم دائمًا على اقتطاع العبارة «الشاهد» من سياقها، ليجعلها تشهد له، وهي في الحقيقة تنقض – في سياقها – ما يريد الوصول إليه. وفيما يلي البيان:

دليله الأول: قال (ص ١١٣٩): «جاء في اللسان: (خَدَمَ): «خَدَمَهُ يخدِمُه ويخدُمُه: مَهَنَهُ». وفيه في مادة (عمل): «العمل: المهنة... وجاء في التاج: «مَهَنَهُ: خَدَمَهُ. والعمل: المهنة». ويُفهم من هذا:

أن الخدمة والعمل يلتقيان في دلالة واحدة هي كلمة (المهنة). فإذا وحَّدتْ بينهما دلالة المصدر، ألا يمكن التوحيد بينهما في الاستعمال، فيكون (استخَدَم) بمعنى (طَلَبَ العمل) أي (استعمل)، والعمل يقع من العاقل وغيره» ؟ انتهى كلامه!

أولاً: قوله «ويُفهم من هذا»، يريد أنه هو فَهِمَ من هذا...

ثانيًا: إذا كانت «أدلّة» د.خسارة على هذا النحو، فهذا كما يقال: تخديش في الرخام. والحمد لله أنه لم ينسب ذلك إلى منطق اللغة الخاص الذي تحدّث عنه في (ص ١١٣٨)!

وقياسًا على «اجتهاده» هذا أقول:

(الجَزُّ) عند العرب يكون لقَطْع الصوف والشعر والنخل والزرع، لا يستعملونه إلّا لتلك الأصناف. و(الجَبُّ) عند العرب لقَطْع الخصْية. وقد يأتينا أحد المتأثرين بمنطق د.خسارة فيقول: «جاء في التاج (جزز): جزَّ الصوف والشعر والحشيش والنخل والزرع يجزُّه جَزًّا وجَزَّةً، بالفتح فيهما... قَطَعَهُ. وفيه في مادة (جبب): الجَبُّ: القَطْعُ.

ويُفهم من هذا أن الجزَّ والجَبَّ يلتقيان في دلالة واحدة هي (القَطْع).

فإذا وحَّدتْ بينهما دلالة المصدر، ألا يمكن التوحيد بينهما في الاستعمال، فيكون الجَبُّ للصوف والشَّعْر، والجَزُّ للخصية ؟!» وياضَيْعَةَ العربية وبهائِها إذا ساد هذا المنطق الغريب المشوِّه للُّغة!

دليله الثاني: قال (ص ١١٤٠) «إن الخدمة تكون من غير العاقل، ودليل ذلك ما جاء في حديث عليٍّ وفاطمة رضي الله عنهما: (اسألي أباك خادمًا [للمذكر والمؤنث] تَقِيك حرَّ ما أنت فيه). فإذا كانت الآلة اليوم هي التي تقوم بوقاية الإنسان وإراحته، أليس يعني هذا أن الآلة هي خادم، مع أن الآلة ليست عاقلاً ؟». انتهى كلامه.

أقول: العجب كل العجب من الطرائق التي يتّبعها د.خسارة «لإثبات» ما يريد! فبناء على قاعدته الغريبة العجيبة التي خرج بها علينا يمكنه القول عن المكنسة خادم! وعن الغسالة الآلية خادم! وعن...

على كل حال، إذا نظرنا في هذا القول «الدليل» نجد أنه لا يصحُّ دليلاً على ما يذهب إليه البتة، ولا يمكن قبول الاحتجاج بمثله. وفيما يلي البيان:

١- هذا الحديث غير موجود بهذا اللفظ!

٢- والحديث ضعيف لا خلاف في تضعيفه(٤).

٣- والمعنى الذي ورد فيه، خلاف ما زعمه تمامًا. ثم ما معنى إدراج [للمذكر والمؤنث] ضمن سياق الحديث ؟

لفظ الحديث عند الإمام أحمد «... فقُدِمَ على رسول الله،(ﷺ) بسَبْي أو خَدَم،

---

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود، وهو حديث ضعيف. راويه (علي بن أعبد) مجهول لا يُعرف من هو! قال الحافظ بن حجر في « تقريب التهذيب »: مجهول، وقد لا يسمى في الإسناد...

قال: فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله (ﷺ) فاسأليه خادمًا يقيك حَرَّ ما أنت فيه...».

ولفظُهُ (يقيك) لا كما أورده صاحب التاج (تقيك) بالتأنيث، لأن المقصود بالخادم في هذا الحديث هو الإنسان، سواء أكان ذكرًا أو أنثى، وهذا واضح من السياق.

و لا أدري لماذا أقحم د.خسارة مسألة الآلة معتمدًا على هذا الحديث! وكيف فِهِمَ منه أن الخدمة تكون من غير العاقل ؟ ومن ثم جعله دليلًا على ما ذهب إليه!

هل فهِمَ من قوله: «يقيك حَرَّ ما أنتِ فيه» أن المقصود هو آلة تقي الإنسان من الحرّ ؟!

ليس هذا هو المقصود في الحديث قطعًا، والسياق واضح، وإنما المراد من قوله: «حَرَّ ما أنتِ فيه» التعب والمشقة.

قال ابن الأثير: «وفي حديث عليّ [أنه قال لفاطمة رضي الله عنهما: لو أتيتِ النبي (ﷺ) فسألْتِهِ خادمًا يقيك حَرَّ ما أنتِ فيه من العمل] وفي رواية [حارَّ ما أنتِ فيه] يعني التَّعَب والمشقّة من خدمة البيت، لأن الحرارة مقرونة بهما، كما أن البردَ مقرون بالراحة والسكون. والحارُّ: الشاق المتعِب) »(٥).

وقال في باب خدم: «وفي حديث فاطمة وعليّ رضي الله عنهما [اسألي أباك خادمًا يقيك حَرَّ ما أنت فيه] الخادم واحد الخدم، ويقع على الذكر والأنثى، لإجرائه مُجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال كحائض وعاتق».

دليله الثالث: قال (ص ١١٤٠): (وَرَدَ في التاج: «هذا القميص يَخدم سنة»)، أي أُسْندت الخدمة لغير العاقل.

---

(٥) «النهاية في غريب الأثر» لابن الأثير في باب (حرر).

أقول: هذا «الدليل» مُقتطَعٌ من عبارة التاج، إذ قال في باب خدمه يخدمه: «وأيضًا جُمع خادم ككاتب وكَتَبَة، والخُدمان بالضم جمع خادم، هكذا تقول العامَّة، وكأنهم تصوروا فيه أنه جَمع خَديم ككثيب وكُثبان، ويقولون هذا القميص يخدم سنة، وثوب سخيف لا يخدم، وهو مجاز»!

ومن المعلوم أن الفاعل المعنوي لِـ (يقولون) هو عامة الناس، ولم يَنسب التاج هذا الكلام إلى أحد الفصحاء! ومع ذلك استساغ د.خسارة اقتطاع الكلام من سياقه، وأجاز لنفسه أن ينسب للزبيدي (١٢٠٥هـ) قولًا نصَّ الزبيدي نفسه على كونه من كلام العامّة! ثم رضي أن يحتجَّ بكلام عوامّ القرن الثاني عشر الهجري!!

مع ملاحظة الفرق بين معنى خَدَمَ واستخدم!

وللفائدة أذكُر أن الزبيدي في موسوعته (تاج العروس) لايقول لغير العاقل إلا استعمل! وقد جمعتُ بسرعة اثني عشر مثالًا، وفيما يلي بعضها، (ومثلها كثير):

١- واستعمل الزمخشري هذه اللفظة في بعض خُطب مؤلفاته.

٢- واستعمل بعض النحويين الشوب في الحركات.

٣- واستعمل أبو حنيفة المراتع في النعم.

٤- وإن كان كلٌّ من شَرَى وباع يُستعمل في المعنيين.

٥- وفي المحكم، الوقتُ: المقدار من الدهر، وأكثر ما يستعمل في الماضي. وقد استعمل في المستقبل، واستعمل سيبويه لفظ الوقت في المكان تشبيهًا بالوقت في الزمان.

بعد تلك «الأدلة»... قال د.خسارة (ص١١٤٠): «ولعل هذا ما شجَّع الكتّاب والأدباء بعد عصر الاحتجاج على استعمال كلمة استخدم للعاقل ولغيره، إذ تكررت كلمة (استخدم) آلاف المرات في كتب ما بعد عصر الاحتجاج لتدلَّ على أن المُسْتَخدَم ليس عاقلاً فحسب، وأهمها:

أولاً: «قول ابن حزم في المحلَّى (١١/ ٥٠٠): (فإن لم يفِ استخدم المالَ في الباقي)».

أقول: لا أدري كيف استساغ د.خسارة هذه العبارة «شاهدًا» على ما يريد، لأنه - على عادتِهِ - اقتطعها من سياقها، فمبناها لا يُفهم منه شيء واضح!

وإذا رجعنا إلى كتاب المحلى لابن حزم (٤٥٦هـ) نجد أن العبارة ليست كما زعم، وإنما هي بخلافه، وهي حُجَّة عليه لا له!

قال ابن حزم في باب الجنايات: «وقال مالك: جناية العَبْد في الدِّماء والأموال سواء، فإن كان للعبد مالٌ فكلُّ ذلك في مالِهِ، فإن لم يكن له مال فَسَيِّدُهُ مُخَيَّرٌ بين أن يَفْدِيَهُ بأرش الجناية، أو بقدر المال أو يدفعه(٦)، فإن جنى المُدَبَّـرُ كذلك ففي ماله، فإن لم يفِ استُخْدِمَ في الباقي»(٧).

هذه العبارة واضحة ومستقيمة، وهكذا وردت في النسخ المطبوعة والموجودة في المكتبات الرقمية. والمُدبَّر هو العبد المملوك.

فالمدبَّر إذا ارتكب جنايةً ما، فعليه أن يغرمها من مالِهِ، فإن لم يَفِ مالُهُ بكامل الغرامة استَخَدمَهُ وليُّ الجناية بقيمة المال الذي بقي في ذمته.

ونرى أن د.خسارة - لِيصل إلى مبتغاه - حَرَّف العبارة وأقحم فيها لفظًا من عنده: (المالَ) لتساعدَه على الاحتجاج، ولو كانت في جملة عجماء لا يُفهم منها أيُّ معنىً صحيح! وعكَسَ الكلامَ: فالذي قاله ابن حزم: يُستخدم العبدُ (العاقل) لا المال (غير العاقل) كما زعم! وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» الأول!

---

(٦) أي يُسَلِّمه لوليّ الجناية.

(٧) [المحلَّى لابن حزم ٨/ ٢٩٠، تحقيق أحمد شاكر ط٢، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م].

ملاحظة مهمة:

أجريتُ بحثًا حول (استخدم ويستخدم) مستعينًا بالحاسوب وبرنامج المكتبة الشاملة، فوضعْتُ كتب التراث الدينية والتاريخية والأدبية واللغوية، من صدر الإسلام إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري وعددها / ٥٨٠٠/ كتاب تقريبًا، في برنامج البحث، فتبيَّن أن فعل (استخدم) تكرر / ١١٧٠/ مرة، وفعل (يستخدم) / ٢٠٣٢/ مرة، وكانت جميعها موافقة لما نصَّ عليه المحققون من أهل اللغة، وهو أن استخدم لا تكون إلا للعاقل! فالمهم إذن ليس تكرار الكلمة آلاف المرات في الكتب، وإنما حُسْن استعمال الحاسوب والفهم الصحيح لكلام العلماء.

ثانيًا: قول ابن قدامة في الشرح الكبير (٤/ ٧٤): «وإذا استخدم المشتري المبيعَ ففيه روايتان».

هنا أيضًا أخطأ د.خسارة في فهم المراد من الكلام، لأن المقصود من المبيع في كلام ابن قدامة هو العَبْد أو الجارية!

ذلك أن ابن قدامة كان يتكلم عن التصرف بالمبيع في مدة الاختيار، فقال: «وإن تصَرّف المشتري في المبيع في مدة الخيار بما ذكرنا ونحوه مما يختص المِلْكَ، كإعتاق العبد، وكتابته، ووَطْء الجارية، ومباشرتها، ولمسها بشهوة، ووَقْف المبيع، وركوب الدابّة لحاجته، أو سكنى الدار، ورَقِّها، وحصاد الزرع، فَما وُجِد من هذا فهو رضًا بالمبيع، ويبطل به خيارُه... ».

فهو لم يقل استخدم الدابّة أو الدار أو الزرع...

ثم قال: «... وإن استخدم المشتري المبيع ففيه روايتان (إحداهما) لا يبطل خياره، قال أبو الصَّقْر: قلتُ لأحمد: رجلٌ اشترى جاريةً، وله الخيارُ فيها يومين، فانطلق بها فغسلتْ رأسَه، أو غمزتْ رِجْلَه، أو طحنتْ له أو خبزتْ، هل يستوجبها

بذلك؟ قال لا، حتى يبلغ منها ما لا يَحِلُّ لغيره. قلتُ: فإن مَشَطَها، أو خَضَبَها، أو حَفَّها، هل استوجبها بذلك؟ قال: قد بَطَلَ خيارُه لأنه وضع يده عليها. وذلك لأن الاستخدام لا يختصّ المِلك، ويُراد به تجربة المبيع، فأَشْبَهَ ركوبَ الدابَة ليعلَمَ سيرها».

كما نرى، الفقيه يتحدث هنا عن صنف من أصناف المبيع وهو العبيد، فاستعمل فعل (استخدم) لأنه للعاقل، في حين أنه عندما تحدث عن الأصناف الأخرى لم يستعمل (الاستخدام)!

وللفائدة، إذا أورد الفقهاء في كتبهم مصطلح (الاستخدام) فهم يَعْنون استخدام العبيد والإماء (البَشَر!). جاء في «معجم لغة الفقهاء/ ٦٠، لمحمد القلعجي»: «الاستخدام: اتخاذ الخادم/ طلب الخدمة employment».

وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» الثاني.

ثالثًا: قول الشَّهرستاني في المِلَل والنِّحَل (١/ ٨٨): «استخدم القوتين».

هكذا أوردها د.خسارة، مقطوعة عن سياقها! إذ الأصل: استخدم القوتين واستعملهما في جانب الخير.

وإذا رجعنا إلى كتاب (الملل والنحل) للشهر ستاني (٥٤٨هـ) وجدنا كلامه عكس ما يريد د. خسارة، أي حجة عليه!

وهذا كلام الشهر ستاني: «...أجابت الحنفاء بأن هذه المغالطة مثل الأولى حذو النعل بالنعل، فإن في طرف البشرية نفْسَيْن:

نفسٌ حيوانية لها قوتان: قوة الغضب، وقوة الشهوة.

ونفس إنسانية لها قوتان: قوة علمية وقوة عملية.

وبِتَيْنِكَ القوتين لها أن تجمع وتمنع، وبهاتين القوتين لها أن تقسم الأمور وتفصل

الأحوال، ثم تعرض الأقسام والأحوال على العقل فيختارُ العقلُ – الذي هو كالبصر النافذ له – من العقائد الحقَّ دون الباطل، ومن الأقوال الصدقَ دون الكذب، ومن الأفعال الخير دون الشرّ ؛ ويختار [العقلُ] بقوَّته العملية من لوازم القوة الغضبية الشدةَ والشجاعة والحميَّة، دون الذلّة والجُبن والنذالة، ويختار بها أيضًا من لوازم القوة الشهْويَّة: التآلف والتودُّدَ والبذاذة دون الشَّرَه والمهانة والخساسة...، وإذا بلغ هذا الكمال فقد استخدم القوتين واستعملهما في جانب الخير،...».

كما نرى يتحدث الشهرستاني عن استخدام الإنسان صاحب العقلِ القوتين الغضبية والشهوية المْودَعَتين في نفسه البشرية، فهو لا يتحدث عن قوة الثقالة الأرضية وقوة أرخميدس!!

إن الشهرستاني لا يقول (استخدام) إلا للعاقل، ويفرّق بينها وبين (استعمل). فمن كلامه (في الملل والنحل ٢ / ٣٤): «... إذ فيه من القوة العلمية والعملية ما يستعمل به الهياكل العلوية ويستخدم الأشخاص الروحانية... ودعا [فرعونُ] إلى نفسه فقال: ﴿أنا ربُّكُمُ الأعلى﴾ ﴿مَا عَلِمْتُ لكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرِيْ﴾ إذ رأى في نفسه قوة الاستعمال والاستخدام»!

وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» الثالث!

رابعًا: قول الصفدي في الوافي بالوفيات (١/ ٩١١): «استخدم لفظ الذباب في مَعْنَـيَيْه».

لم أتوقع أن يقع د.خسارة في مثل هذا الخطأ! ذلك أن الصفدي استعمل مصطلح (الاستخدام) الخاص بعِلْم البديع!

كان الصفدي (٧٦٤هـ) يترجم لأبي العلاء المعرّي فقال: (ومن شِعْره في الاستخدام، وهو نوع أشرفُ من التورية، يصف دِرْعًا:

نثـرةٌ مـن ضَـمانها للقنـا الخَـط .... ـيّ عنـد اللقـاء نَثْـرُ الكُعُـوبِ

مثـل وشَيْ الوليـد لانـتْ وإن كـا .... نت من الصُّنع مثل وشي حبيبِ

تلـك ماذِيَّـةٌ ومـا لـذُ بـابِ السَّيْـ .... فِ والصيفِ عنـدها مـن نصـيبِ

قلت: استخدم لفظَ الذُّباب في مَعْنَيَيْه: الأول طرفُ السيف، والثاني الذباب الطائر المعروف وهو الذُّبَّان». انتهى كلام الصفدي.

[الماذِيَّةُ: الدِّرعُ الليّنة].

فالصفدي يتكلم عن مصطلح (الاستخدام) الخاص بعلم البديع، وليس المقصود قطعًا الاستخدام بمعنى الاستعمال! وهذا معلوم عند أهل هذا الشأن. بل إنهم مرةً يسمّونه الاستخدام، وأخرى يسمّونه الاستخذام.

ولو وضعنا في عبارة الصفدي (استعمل) مكان (استخدم) ما استقامت العبارة، وما أدَّت المعنى المطلوب!

وقال الصفدي في كتابه «فَضُّ الختام عن التَّوريةِ والاستخدام»(٨).

« (المشتَرَك) إذا لزم استعماله في مفهومَيه معًا فهو الاستخدام، وإن لزم في أحد مفهوميه في الظاهر مع لَمحِ الآخر في الباطن فهو التورية» وسيأتي مزيد من البيان عند الحديث على «الشاهد» الخامس .

* المقصود بـ (المشتَرَك) هنا، هو اللفظُ له أكثر من معنى كالعَيْن للباصرة، وعين الماء، وعين الشمس، والجاسوس، والمال...

وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» الرابع!

---

(٨) روى ذلك عنه ابن حجة الحموي في (خزانة الأدب) ١/ ١١٩.

خامسًا: قول الكفويّ في الكليات (٣/ ١٣٩): «استخدم الله سبحانه وتعالى لفظ الجلالة».

هذا النص الذي أورده د.خسارة فيه تحريف واضح، إذ ليس له معنى! ولم أجده في كليات أبي البقاء بهذا اللفظ والسياق! ولكنه موجود في سياق آخر. ثم إن الكفوي (١٠٩٤هـ) يتكلم هنا أيضًا عن مصطلح الاستخدام في البديع. قال في فصل الألف والسين: «الاستخدام هو أن يُؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادًا به أحد معانيه، ثم يؤتى بضميره مرادًا به المعنى الآخر. وهذه طريقة السّكّاكي وأتباعه، أو يراد بأحد ضميرَيه أحد المعنيين، ثم يراد بالضمير الآخر معناه الآخر، وهذه طريقة بدر الدين بن مالك في (المصباح). فالأُولى... كقوله تعالى: ﴿لا تقربوا الصلاةَ وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا جُنبًا إلا عابري سبيل﴾ [النساء/ ٤٣]. استخدم سبحانه لفظة (الصلاة) لمعنيين أحدهما إقامة الصلاة، بقرينة (حتى تعلموا) والآخر مَوضع الصلاة، بقرينة ﴿وَلا جُنُبًا إلاَّ عَابِرِيَ سَبِيْل﴾.

والاستخدام: استعمال مَعْنيَي اللفظة معًا، بخلاف التورية، فإنها استعمال أحد معنيي اللفظة وإهمال الآخر» انتهى كلام الكفوي.

وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» الخامس!

سادسًا: قول العباسي في «معاهد التنصيص» (١/ ٢٢٤): «استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا».

أقول: إن عبد الرحيم العباسي (٩٦٣هـ) إنما كان يتكلم عن مصطلح (الاستخدام) في علم البديع أيضًا، فقال:

«فسقى الغضا والساكنيهِ وإن هُمُ ... شَبّوهُ بين جوانحٍ وقلوبِ

والغضا: شجرٌ معروف، واحدته غضاةٌ... والشاهد فيه الاستخدام أيضًا.

فإنه أراد بأحد الضميرين الراجعين إلى الغضا، وهو المجرور في الساكنيهِ، المكانَ، وهو أرضٌ لبني كلاب ووادٍ بنَجْد، وبالآخر، وهو المنصوب في شبُّوهُ، النارَ، أي أوقدوا في جوانحي نار الغضا، يعني نارَ الهوى التي تشبه نار الغضا، وخصَّ الغضا دون غيره لأن جَمرهُ بطيء الانطفاء. وقد استخدم كثير من الشعراء لفظة الغضا».
انتهى كلام العباسي.

[شَبَّ النارَ: أوقدها بشَعْلِ الحطب].

فعبارة العباسي الأخيرة لا يعني بها البتة أن كثيرًا من الشعراء «استعمل» لفظة الغضا! ولو وضعنا (استعمل) مكان (استخدم) في عبارته لصارت لا فائدة منها وغير مقبولة. و(الاستخدام) هنا لا علاقة له بالخدمة لا بمعناها الحقيقي، ولا بالاستعمال، وإنما هو مصطلح خاص بأحد المُحسِّنات البديعية.

يقول أسامة بن منقذ في كتابه «البديع في نقد الشعر» / ١٢٦: «اعلم أن الاستخدام هو أن يكون للكلمة معنيان فتحتاج إليهما، فتذكرَها وحدها تخدُم للمعنيين». ومعنى الكلام أن الكاتب والشاعر هو الذي يخدم المعنيين بإيراده كلمةً واحدة، بدليل قوله: «فتحتاج إليهما فتذكرها وحدها». وإذا قيل إنّ المقصود أن تلك الكلمة تخدم المعنيين فذاك بعيد، لأن الكلمة وحدها لا يمكن أن تخدم المعنيين، وإنما الكاتب هو الذي يمكنه ذلك بصَوْغ كلام فيه كلمات وضمائر تعود على تلك الكلمة فيستفاد منها المعاني المقصودة.

والمتصفح لـِ «معاهد التنصيص» يجد أن العباسي لا يستعمل (استخدم) مكان استعمل. وحين استعملها في موضعين كان يتكلم فيها عن أسلوب الاستخدام. أما في كلامه الآخر فكان يسير على الجادة! وفيما يلي شيء من كلامه:

قال (ص١٠٨): ورد بأن لفظ الندى لا يكاد يستعمل في بذل النفْس.

وقال (ص ٢٤٧): وقد استعمل امرؤ القيس هذا المعنى في شعره كثيرًا.

وقال (ص ٢٥١): وقد استعمل أبو نُواس معنى البيت ثانيًا.

وقال (ص ٣٤٤): وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيرًا...إلخ.

وكذلك فعل ابن مُنقذ:

– فقال في باب الالتجاء والمعاظلة: وهو أن تستعمل اللفظة في غير موضعها من المعنى.

– وقال في باب الرشاقة والجهامة: وقالوا: الكلام ثلاثة أصناف: عامّي، وخاصّي، ووحشي. فالعامي لا يُستعمل لركاكته، والوحشي لا يُستعمل لجهامته، والخاصّي يستعمل لفصاحته وملاحته...إلخ...

وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» السادس.

سابعًا: قول القلقشندي في صُبح الأعشى (١٢: ١٣٢): «استخدم كُلَّ سيفٍ وقناة». هذا أيضاً لا يصلح حُجةً له!

أولًا: القلقشندي من رجال القرن التاسع الهجري (٨٢١هـ) وهو يؤرخ لأحداثٍ قريبة من زمانه.

ثانيًا: إذا كان د.خسارة يريد الاحتجاج بالقلقشندي فالنص المقتبس من كتابه ليس من كلامه أو صياغته! وإنما هو يروي ما كتبه بعض كتّاب السلاطين لعُمّالهم، لأن كتابه خاص بذلك وعنوانه: (صُبح الأعشى في صناعة الإنشا)!

قال: «... وهذه نسخة مرسوم شريف بِنَصْفِ إمرة (آلِ مراء)، كتب به لقناة ابن نجاد في العَشر الآخر (كذا) من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، وهي: الحمد لله الذي استخدم لنصرنا كلَّ سيفٍ وقناة ، وكل سرعة وأناة، وكل مُثَقَّف تسلى جناياته ويَعْذب جناه، وكل ماض لا يَعُوقه عن مقاصده الصالحة يعوق وهو عبد مناة... ».

فالنص هو لابن فضل الله وهو (العمري ٧٤٩هـ). وفي كلامه تورية بديعية لطيفة: فهو يقصد بقناة رجلاً هو قناة بن نجاد الذي وُجِّه إليه الكتاب، لا القناة الأداة الحربية... والمقصود بـ (كلّ سيف) كلَّ حامل سيف، أي كل مقاتل! ومعلومٌ أن المراد هو المعنى البعيد – الذي لا يغيب عن اللبيب – لا المعنى القريب. فكلمة (استخدم) أُسندت إلى قناة، الرجل لا إلى الرمح، وإلى حاملي السيوف!

وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» السابع.

ثامنًا: قول لسان الدين ابن الخطيب في نَفْح الطِّيب (٦/ ٤١٨): «استخدم الأَسَلَ الطِّوال».

روى المَقَّريّ في نفخ الطيب كلام لسان الدين (٧٧٦هـ) الذي وَجَّهَهُ لشيخ الدولة [هو يحيى بن عمر بن رحو، وقد ولّاه السلطان يوسف بن إسماعيل رياسة الجند المغربي، وهي وظيفة شيخ الغزاة في الأندلس، فتولّاها في المدة [٧٤١–٧٦٤هـ]، وكان يثني عليه كثيرًا ويمدحه بشدة. ومن كلامه: «... فيا عِزَّ دولة، بكَ – ياجملة الكمال – قد استظهرتْ، وأذلَّت المعاندَ وقهرتْ،...» ثم راح يَعُدُّ فضائله فقال: «... وجُودٍ خَضَّب الأيدي بحنّاء التِّبرْ، وعزٍّ استخدم الأسل الطِّوال بيراعٍ أقلَّ من الشِّبر». [الأسل: الرِّماح. اليراع: القَصَب] .

والملاحَظ أن د.خسارة – على عادته – انتزع الكلام من سياقه، واجتزأ بذكرِ مقطع يُفهم منه أن شخصًا ما استخدم الأسل الطوال! والعبارة – في الحقيقة – ليست كذلك، وإنما أُسند فعل (استخدم) إلى (عزٍّ)! أفرأيتم إلى عزٍّ يستخدم الأسل؟!

المعنى المراد هو أن الممدوح (عز الدولة!) أنفذ أمره بالقلم (اليراع) فتلقّاه فرسانٌ حملوا الأسل (الرماح) فأنجزوا ما أَمر به. وهذا منتهى العزِّ! ولا يستقيم المعنى بغير ذلك.

وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» الثامن.

تاسعًا: قول البهاء زهير:

«أسْتخدِمُ الريحَ في حمل السلام لكم ... كـأنما أنـا في عصـري سـليمانُ»

أقول: هذا بيتٌ من قصيدة للبهاء زهير (٦٥٦هـ) مَطلعها:

أنـتَ الحبيب ومـالي عنك سُـلوانُ ... وفيـكَ ضَجّ َ عـليَّ الإنسُ والجانُ

قد قيل لي إن بعض الناس يَعْتِبُني ... عِرضي له دون كلّ الناس مُجّـانُ

ويرسِل الطيفَ جاسوسًا ليُخْبِرَهُ ... إن كان يُغمَضُ لي في الليل أجفـانُ

فيا نسيمَ الصبا أنت الرسولُ لـه ... واللـه يعلمُ أنـي منكَ غيـرانُ

بلِّـغ سلامـي إلى مَن لا أكـلِّمـهُ ... إني على ذلك الغضبان غضبـانُ

لا يـا رسولي، لا تـذكرْ لـهُ غضبي ... فـذاك مِنِّي تـمويـهٌ وبـهتـانُ

أستخدم الريحَ في حَمْل السلام لكم ... كأنما أنـا في عصـرِي سليمـانُ

لقد لجأ الشاعر إلى المجاز، فأنزل غير العاقل منزلة العقلاء، وهذا واضح وكثير ومشهور في الشعر. فيتخيَّل أن حبيبه يرسِل الطيف (الخَيَال) جاسوسًا، ويجعل هو من النسيم رسولاً، ويطلب منه إبلاغ السلام، وينهاه عن ذكر غضبه لحبيبه، وختم كلامه بأن جعل من الريح خادمًا له يستخدمه لحمل السلام، فكأنه في زمانه مثل نبيّ الله سليمان الذي سخّر الله له الريح تطيعه ولا تخالف أمره.

وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» التاسع.

عاشرًا: قول القاضي الفاضل:

«قد اسْتَخْدَمْتَ في الأفكار سِرِّي ... ومـا أطلقـتَ لي بالوصـل أُجْـرَه»

أقول: هذا بيتٌ من قصيدة للقاضي الفاضل (٥٩٦هـ) يتحدث فيها عن محبوبه ثم يخاطبه فيها. ومطلعها:

لِعينيـــه عـــلى العُشَّـــاق إِمْـــرة ولـــيس لهـــم إذا مـــا جـــار نُصْـــرَهْ

....

فـأمـــا الهجْـــر منـــه فهـــو إلـــفٌ و أمـا الـــوصل منـــه فـهـــو نـُــدرهْ

....

قـــد اســـتخدمتَ في الأفكـــار سِرِّي ومـا أطلقـــتَ لي بالوصـــل أُجـْــره

معنى هذا البيت: حُبّي إياك جعلك تعيش في سِرِّي وقلبي، فأنا أبدًا أفكر فيك، فكأني بفكري وسِرِّي خادمك، والخادم دائمـًا يلازم مخدومَه، والخادم يأخذ عادة أجرةً على خدمته، وأنا كلُّ وجودي وقْفٌ عليك ولا تؤدي إليّ شيئًا، فجُدْ عليّ بالوصل..

هذا هو مراد الشاعر، فعاد الاستخدام هنا للعاقل. وبهذا يتبين سقوط «الشاهد» العاشر والأخير!

و العجيب أن د.خسارة تحدث في بداية «نقده» عن الشعراء والضرورة الشعرية وعن منطق اللغة الخاص! ثم نراه يتناسى كل ذلك، ويحمل كلام الشعراء على الحقيقة...

وبعد أن ساق تلك «الأدلَّة والشواهد»... ختم كلامه قائلًا:

«فإذا كان الدكتور الحسني يتوخّى لغة أعلى من لغة القاضي الفاضل ولغة ابن حزم، فذلك فضلٌ قد لا يؤتاه معظم الكتّاب».

و أنا أقول: الذي أريده هو أن يرتقي الكتّاب بلُغَتهم ويحاولوا مجاراة الفصحاء كي يَصِلوا إلى مرتبة يتمكّنون فيها من فَهْم كلام العلماء فَهْمـًا صحيحًا. وأَخُصُّ من الكتّاب المتخصصين في اللغة العربية، فهؤلاء يجب أن تكون لغتهم مثالاً يحتذى، وقُدوةً لغيرهم. وإذا علِموا أن هذا فصيح وذاك غير فصيح، فمن واجبهم أن يأخذوا بالفصيح دون غيره!! إنّهم باتباعهم هذا النهج يحافظون على سلامة اللغة، التي هي أمانة في أعناقهم قبل غيرهم.

٣- التوعية

نشرت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد ٨٣، الجزء ٢) سنة ٢٠٠٨م. كلمة لي عن (التوعية) – أدرجتُها في كتاب «صفحات لغوية»- قلت فيها إن هذه الكلمة لا وجود لها في لغتنا، ولكنْ فيها فِعلٌ يؤدي المعنى المقصود تمامًا هو «بَصَّرَ»، ومصدره التبصير والتبصرة. وقلت إن «التبصرة» كلمة قرآنية، ففي التنزيل العزيز: ﴿تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب﴾ [ق- ٨] وأوردتُ معانيَ هذا الفعل، وذكرتُ حديثًا نبويًّا تَضَمَّنه: «بَصِّرِ ابنَ عمِّك الوضوءَ والسُّنَّة» .

ثم نشرتْ مجلة مجمعنا بعد سنتين (المجلد ٨٥، الجزء الثالث) في تموز ٢٠١٠ كلمةً لصديقي الفاضل الأستاذ الدكتور مازن المبارك عن (التوعية)، اطّلعتُ عليها قبل نشرها، فسألتُه: هل قرأتَ ما كتبتُ قبل سنتين عن هذه الكلمة ؟ فأجابني بالنفي! وقد استغربت ذلك منه، لأنه عضو«لجنة المجلة» في مجمعنا!

بدأ د.خسارة الردَّ على اعتراضي على (التوعية) بالإحالة على كلام الدكتور المبارك (ص ١١٤١) وهو: «بَحَثَ أخ كريم عن كلمة التوعية في المعجم فلم يجدها، فرفض استعمالها ناعتًا إياها بأنها كلمة غير معجمية، وزاد على رفضها قوله إن فيها معنى التعبئة، وأن العرب يستعملون بمعناها كلمة التَّبْصرة، وخلاصة رأيه أن العرب لم يقولوا وَعَّاه توعيةً، وإنما قالوا: بَصَّرَهُ تَبْصرةً فلنقِف عند ما قالوا».

أولاً: اعتراضي على (التوعية) ليس لأنها غير معجمية، وإنما لأنه لا حاجة بنا إليها، لوجود كلمة معجمية بديلة (تَبْصير، تَبْصِرة) تؤدي المعنى المقصود تماماً، علمًا بأن معجمنا العربي محتاج إلى رَفْدِه بكلمات كثيرة مبتكرة تعبِّرعن معانٍ مستجدة لم يعرفها أسلافنا. ومن المقرر لدى كبار اللغويين المعاصرين أن العربية ليست مقصورة على ما جاء في المعجمات وحدها، بل لها مَظَانٌّ أخرى يجب تَتَبُّعُها والأخْذ عنها،

فضلًا على الطرائق المعتمدة لتطوير اللغة وإغنائها. و د.خسارة يعلم أن هذا رأيي. وإنما اعترضتُ لأني -كما ذكرت - لم أَرَ حاجة إلى هذه الكلمة.

وقد اعترضتُ وأعترض لا على كلمات معجمية مثل (لَبَّى، استعمل).كما ينسب إلي د.خسارة ظلمًا حيث قال في (ص١١٣٦): «ولكنني أخالفه الرأي فيما ذهب إليه من تخطئة كلمات (المصداقيَّة، التوعية، الآنف الذكر، لَبَّى، استعمل)» بل أعترض على استعمال الكلمات المعجمية استعمالًا غير صحيح (مثل الأفعال: استخدم، لَبَّى، اختلى [بدلاً من خلا!]) مع بيان الاستعمال الصحيح لدى الفصحاء. إن كلامي لا يُلْزِم مَن لا يريد مجاراة الفصحاء، وهو يفيد من يريد إحسان التعبير بلغته والارتقاء بكتابته.

ثانياً: مع أن الدكتور المبارك صديقي وزميلي فلست أنا المقصود بقوله (بحث أخ كريم)، لأني لم أَقُلْ في كلمتي عن (التوعية) إن فيها معنى (التعبئة) كما جاء في كلامه الذي تَقدَّم ذكره.

- واعتراضي على (التوعية) ليس ناجمًا أيضًا عن طريقة اشتقاق هذه الكلمة، فالطريقة قياسية لا يجهلها شُداة العربية.

- لننظر الآن فيما تقوله المعاجم.

أولاً: مادة ب ص ر

١ - لسان العرب: قال أبو إسحق: تُبَصِّرُهُم أي تُبيِّن لهم.

* التبصير: التعريف والإيضاح.

٢ -متن اللغة: بَصَّرَهُ: عَرَّفَهُ وأوضح له.

٣- المعجم الكبير (مجمع القاهرة): بَصَّرَهُ الأمرَ وبهِ تبصيرًا وتَبْصِرَةً: فَهَّمَهُ إيّاه ووضَّحَهُ له.

ثانيًا: مادة و ع ي

١- لسان العرب: الوَعيُ: حِفْظُ القلبِ الشيءَ

* وعى الشيءَ والحديثَ يَعِيْه وعيًا: حفظه وفَهِمَه وقَبِلَه.

* فلانٌ أوعى من فلان، أي: أَحْفَظُ وأَفْهمُ (منه)

٢- متن اللغة: وعى الحديثَ: حفِظَه وقَبِلَه (مجاز).

* الوعيُ: الحفظُ والتدبُّر [واتّخذه أهل العصر بمعنى الفهم، والانتباه لِحفظ النفس والأمّة.]

٣- المعجم الكبير: لم يَصْدر بعد المجلد الخاص بحرف الواو!

كما نرى التبصير هو التعريف والإيضاح والتَّبْيين والتفهيم. ولكن د.خسارة يقول: (ص١١٤٢) التبصرة للتصرُّف والتعامُل!؟ ولم يبين لنا من أين أتى بهذا! وفَرَّق د.خسارة بين التوعية والتبصرة بقوله (ص١١٤٢): «التوعية للفهم والحفظ، والتبصرة للتصرُّف والتعامُل» ولم يأت بشاهد واحد يؤيد هذا التفريق العجيب!

وأَلَحَّ د.خسارة على وجود الفرق ليُقنع القارئ بضرورة إدخال كلمة جديدة في اللغة، لكنه - كما قلت - لم يذكر لنا مرجعًا يُعتد به يقول: التبصرة للتصرف والتعامل! وقد رأينا ما تقوله المعاجم!

أما ما خلص إليه د. المبارك، وتابَعَه عليه د. خسارة، من صحة استعمال التوعية بمعنى الإفهام، فهو ما قررتْه المعاجمُ من معاني التبصيروالتبصرة! فما حاجتنا إلى «التوعية» ؟

- وقع بين يديّ مقال في التعريب لِلُّغويّ المعروف الشيخ إبراهيم اليازجي، نشره سنة ١٩٠٠م في مجلة «الضياء». وقد جاء في نهايته:

«نقِف عند هذا القدْر في التعريب، وهو كافٍ في مقام التبصرة»!

بقي أن أُوردَ ما قاله لغويٌّ معروف هو الدكتور إبراهيم السامرّائي في كتابه (التطوير اللغوي التاريخي / ١٣٥):

«وَعَّى يُوعِّي تَوعِيةً: كلامٌ مرتجَلٌ لا أصل له».

٤- آنفًا والآنف

هنا أيضًا لم يتوخَّ د.خسارة الدقة في كلامه، حين قال أني علّقتُ على بحثٍ للدكتور عبد الناصر إسماعيل عسّاف نشِر في مجلة المجمع (المجلد ٨٢، الجزء ٤). البحث ليس للدكتور عسّاف، وإنما لكاتب آخر! وقد علّقتِ المجلة على قول الكاتب: «وَرَدَ في الموضعين الآنفين» بحاشية جاء فيها: «الوجه أن يقال: الموضعين المتقدمين / المذكورين آنفًا» فكتب د. عساف إلى المجلة تعليقًا طويلًا على الحاشية، نشر في المجلة (٨٣/ ٣) أَقَرَّ فيه بأن ما انتهى إلينا مما سُمِع عن العرب يدل على أنهم استعملوها (آنفًا) نكرةً منصوبة، وأن استعمال (الآنف) وصفًا مُعرَّفًا هو خلاف ما انتهى إلينا من استعمال العرب.

فكتبتُ في المجلة (٨٣/ ٣) تعقيبًا على تعليق د. عسّاف وهو منشور في كتابي «صفحات لغوية»، سألتُ فيه: ما الذي يؤخذ على حاشية المجلة إذن ؟!

لقد صيغت حاشية المجلة بالعبارة المذكورة: «الوجه أن يقال...»، وهي عبارة لطيفة يراد منها توجيه نظر القّراء إلى أنه ينبغي ألّا يُترك المسموع المشهور المتداول، ليؤخذ بمقيس لا حاجة إليه، هذا إن كان المقيس صحيحًا! والغرض من هذه الحاشية ومثيلاتها حضُّ كتّاب المجلة وقرّائها على توخّي اللغة العالية، لأن من جملة واجبات المجمع الارتقاء بلغة المواطنين، والمتخصصين في علوم العربية بوجه خاص. وإذا لم تكن لغة مجلات المجامع اللغوية لغة متينةً عاليةً، فأين يصادف القارئ هذه اللغة ليتخذها قُدوةً ويقتبس منها ؟!!

وقد حاول د. عسّاف في تعليقه الطويل على حاشية المجلة أن يبيّن إمكان استعمال (الآنف) بمعنى (السابق)، ولو لم يَرِد هذا الاستعمال عن العرب! ولو كنا في غنية عنه! فأوردتُ في تعقيبي على تعليقه تسعة شواهد من كلام علماء ما بعد عصر الاحتجاج (كالتوحيدي والزمخشري وغيرهما...) استعملوا فيها (الآنف) بمعنى (الحالي، الجاري الآن) لا بمعنى (السالف / السابق)! لم يشأ د. خسارة التوقف عند هذه الشواهد التسعة، إذ لمّا كان غرضُه الدفاع المستميت عن الشائع فقد تجاوزها، وأتى بما تَصَوَّرَهُ «حجة» مقنعة... فأورد ما انفرد بذكره «المعجم الوسيط»[٩] وهو: «الآنف: الماضي القريب. يقال: فعله آنفًا: قريبًا، أو أول هذه الساعة، أو أول وقت كنّا فيه...» ولم يذكر المعجمُ الوسيط أن مجمع القاهرة أقر هذا الكلام كما فعل في مواضع أخرى.[١٠]

ولم يورد الوسيط عبارة واحدة فيها لفظ (الآنف) بمعنى الماضي القريب! وأذكر هنا ما جاء في المجلد الأول من «المعجم الكبير: حرف الهمزة» وهو من مطبوعات مجمع القاهرة أيضًا:

«الآنف: يقال: ذكرتُه آنفًا، أي من وقت قريب، أو من أقرب وقت مضى، وفي القرآن الكريم: ﴿... ماذا قال آنفًا﴾ وفي الحديث «أُنزلت علي سورةٌ آنفًا». ويقال: قلتُ كذا آنفًا وسالفًا، وجاؤوا آنفًا». انتهى كلام المعجم.

ألا يسترعي الانتباه أن كِلا المعجمين أورد أمثلة على استعمال (آنفًا): «يقال: كذا...»، ولم يورد مثالاً واحداً على استعمال (الآنف) بمعنى السابق ؟!

---

(٩) أصدره مجمع القاهرة سنة ١٩٦٠، وصدرت منه أخيرًا الطبعة الرابعة.

(١٠) المأمول أن يرجع « الوسيط » عن هذا الكلام، كما رجع في طبعته الثالثة عما انفرد أيضًا بإيراده في طبعته الثانية وهو: « أَسْبَقَ الرأيَ فالرأيُ مُسْبَقٌ! » .

فماذا فعل د.خسارة ليصل إلى غايته ؟

قال (ص ١١٤٣): «وبالعودة إلى علم الصرف، نقول: ما دام وَرَدَ (استأنف وائتنف) بمعنى ابتدأ الشَّيْءَ، فهذا مُؤذنٌ بوجود ثلاثي له وإن لم يُنطق به، بدلالة مجيء اسم الفاعل منه (آنف ومؤنثه آنفة)».

العجيب الغريب في هذا الكلام هو قوله: «فهذا مؤذن بوجود [فعل] ثلاثي وإن لم يُنطق به»! قال هذا بعد «العودة إلى علم الصرف»! ليته عاد إلى المعاجم فقط، إذن لوجد ثُلاثيَّيْن نطقت بهما العرب بدلاً من الواحد:

أَنَفَ أنْفًا. أَنَفَهُ: أصاب أَنْفَهُ.

وأَنِفَ أَنَفًا. أَنِفَهَ: كَرِهَهُ. وأنِفَ فلانٌ: شكا أَنْفَهُ.

وأنِفَ البعير: سِيق بأنْفه فهو آنفٌ وأنِفٌ.

واسم الفاعل من كليهما (آنف)، ولكن معنى اسم الفاعل هو من معنى الفعل الذي اشتق منه! فكيف يقول د.خسارة بعد عبارته السابقة: «فقولهم (الآنف الذكر) يصبح معناه (الأمر الماضي القريب الذي بدأ ذكره) ؟!!!

كيف يصبح ؟ أنا والله لا أدري! والجواب عند د.خسارة هو (ص١١٤٢) «نقول إن لكل شيء منطقًا، وللغة منطقها الخاص الذي تقوم عليه. وهذا بحث يطول»!

لا أعتقد أن هذا الكلام له علاقة بمنطق اللغة أو بأي منطقٍ آخر!

أما كلمتا (طُرًّا) و(قاطبةً) فاجتزأتُ بما قاله سيبويه عنهما: «ولا تستعمل إلا حالًا»! ولم ألتفتْ إلى نوادر الأعراب، لأن القاعدة المعروفة تقول: القليل والنادر لا يقاس عليه.

وختم د.خسارة كلامه في هذه الفقرة بالإشارة إلى أن تعقيبي على تعليق د. عساف نشِر في مجلة المجمع في أيلول ٢٠٠٨. وفي كتابي الأول (نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية)، الذي قدّم للطبع في تشرين ثان (كذا) ٢٠٠٨م، وردتْ فقرة عن (الآنف وآنفًا)، ثم نشرتُ تعقيبي ثانية في كتاب (صفحات لغوية) عام ٢٠١١م. «فهل من مسوِّغٍ لهذا الإصرار» ؟

سبحان الله! كتابي الأول قال عنه د.خسارة: «قُدّم للطبع في تشرين ثان (يريد الثاني!) ٢٠٠٨م بحسب مقدمته» هذا صحيح. ولكن المسائل اللغوية المعالَجَة فيه سبق أن نشِرت تِباعًا في مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، وهذا مذكور في مقدمة الكتاب، التي اطلع عليها د.خسارة! ومسألة (الآنف وآنفًا) نشرت في المجلة المذكورة في المجلد / ١٤/ العدد الثاني سنة ١٩٩٨م. أي قبل عشر سنوات من دفع المجمع للكتاب إلى الطبع. وفي مجلة جامعة دمشق عولجت المسألة باختصار شديد، خلافًا لما جاء في تعقيبي على تعليق د. عساف. يتبيَّن بهذا أنه ليس لدي إصرار كما زعم د. خسارة. والذي أراه في كلامه هو الإصرار على النزعة الهجومية بأي سبيل، والدفاع المستميت عن الشائع. أخيرًا، من المفيد أن نذكر أن هذه المسألة عالجها:

١ - الدكتور مصطفى جواد (سنة ١٩٦٩) في كتابه «قل ولا تقل» / ٤٧، فَنَقَلَ عن (مختار الصحاح) وعن «مفردات الراغب الأصبهاني» وعن «ابن فارس» في كتابه «مقاييس اللغة» وقال:

«الصواب: المذكور آنفًا، لا «الآنف الذكر».

٢ - الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي (سنة ١٩٨٣) في كتابه «لغة العرب» / ٧١، وقال بعدم صحة التركيب «الآنف الذكر».

٣- الأستاذ الزعبلاوي نفسه (سنة ٢٠٠٦) في معجمه «معجم أخطاء- الكتّاب» / ٣٠، وقال: يخطئون حين يقولون: الآنف الذكر، وتصحيحه المذكور، أو المتقدم ذكره، أو المذكور آنفًا» ثم بيَّن الخطأ.

٥- لَبَّى تَلْبِيَةً

كان عنوان إحدى «الصفحات اللغوية / ٦٠» العبارة الآتية:

هل نُحسِن استعمال ألفاظ لُغتنا ؟

أجاب – استجاب – لَبَّى تلبيةً، تلبية الاحتياج

واضح جدًّا من هذا العنوان أن الحديث سيدور عن الاستعمال الحسن للمفردات العربية، المذكورة في العنوان خاصة.

وهذا الحديث يهمّ من يرغب في أن يكون استعماله للمفردات حسنًا. أما من لا يَهُمُّه ذلك، ففي وسعه تجاهل الحديث وتَرْك الآخرين في سلام! في حديثي عن (لَبَّى تلبيةً) ذكرتُ معانيَ هذا الفعل كما وردت في: «لسان العرب»، و«أساس البلاغة» ومتن اللغة وبيَّنتُ على سبيل المثال، أن معنى: «أجاب الدعوة: قَبِلها» ولَبَّى الدعوة: استجاب لها من منطلق الطاعة والامتثال» ثم أوردتُ ستة شواهد من أفصح الكلام، تبّين الاستعمال الصحيح لهذا الفعل، فقلت: أليس الوجه أن يقال مثلًا: «إن الإنتاج الصناعي في تلك الدولة يوفِّر للمواطنين معظم احتياجاتهم» بدلًا من: «إن الإنتاج الصناعي في تلك الدولة يُلبّي معظم احتياجات المواطنين». وأوردت أمثلة أخرى تُبين استعمالات هذا الفعل الشائعة غير الحسنة. فلم يعجب د.خسارة إشارتي إلى الاستعمال غير الفصيح! لماذا؟ لأنه شائع! وعَلَّق على كلامي بقوله العجيب (ص ١١٤٦): «لم يوضِّح الباحث حُجَّته في تخطئة الفعل (لَبَّى)، لا من الناحية الصَّرْفية لأنه صحيح، ولا من الناحية الدلالية لأنه بمعنى الاستجابة».

سبحان الله العظيم! لا أدري لماذا يُصّر د.خسارة على أن يُقَوِّلني ما لم أَقُلْ! ولا أدري كيف يُجيز لنفسه ذلك! هل في إيرادي للاستعمالات الفصيحة للفعل (لبّى) تخطئة له ؟! وما علاقة علم الصرف بكلامي ؟! لقد قلت في «صفحات لغوية/ ٦٧ ما يلي:

«مَن تَوَخَّى اللغةَ العالية جارى الفصحاء» وأنا في كل ما كتبت لا أُحرِّم ولا أُحلِّل، ولا أنكر ولا أُخطِّئ، كما ينسب إليّ د.خسارة ظلمًا، وإنّما أُبيِّن «الوجه الجيد» في الاستعمال اللغوي، اعتقادًا مني أن هذا يساعد من يرغب في الارتقاء بلُغتِه كتابةً وحديثًا. أما من يرغب عن ذلك فَلْيَبْق مكانه، إذ لا يستطيع أحد أن يرغمه على التخلّي عن موقعه.

أما حديث د.خسارة عن المترادفات فلا ينقضي منه العجب! فهو يتصور (ص ١١٤٦) أن الأفعال مثل (وَفَى وَوَفَّر وسدَّد) تؤدي دلالة (لَبَّى)»!!! وقد يطالعنا بعد مدة بأنه يرى أن الأفعال (قام، وقف، نهض) تؤدي دلالة (هَبَّ)!

وتعليقًا على هذا أُورِدُ ما قاله الثعالبي في «فقه اللغة»:

«لكل لفظة أسرارها وروحها بحيث لا تكاد تجد في ألفاظٍ متقاربة المعاني لفظةً تنوب عن أختها أو تقوم مقامها.

فالصمصام هو السيف لا ينثني، ولفظة الصمصام لا تقوم مقام السيف. وإذا زعمنا أن هاتين اللفظتين مترادفتان، فهل تنوب الواحدة عن أختها ؟

جاء في كلام الجاحظ: «كان عبد الملك بن مروان سنان قريش وسيفها».

فكيف يكون وقع كلامه لو قال: كان عبد الملك بن مروان صمصام قريش ؟

أفلا نرى أن لفظة السيف إذا استُعملت في موضعها فلا تقوم مقامها لفظة أخرى من أخواتها القريبة منها مثل الصمصام ؟

وكـذلك القـول في كثير مـن الألفـاظ التـي زعمـوا أنهـا مترادفـة. والبراعـة كـل البراعة في تمييـز الألفـاظ، وفي استعمالها في المواضـع المناسـبة، وهـذا مـا نسـميه (فقـه اللغة)[١١].

◈ ◈ ◈ ◈ ◈

(١١) مـن مقـال «المـترادف» لعضـو مجمعنـا الراحـل الأسـتاذ شـفيق جـبري، مجلـة المجمـع العلمـي العـربي، المجلد / ١٧ / الجزءان ٩ و١٠.

السَّنة القمرية والتقويم الهِجريّ(*)

بمناسبة حلول عام قمري جديد ترتيبه ١٤٣٤ في التقويم الهجري، رأيت أن أكتب هذه الكلمة لأبيِّن أن الهجرة النبوية لم تحدث في بداية العام القمري.

كان العرب قبل الإسلام يستعملون السنة القمرية، وهي تضمّ اثني عشر شهرًا قمريًّا، تُضبط بداية كل شهر برؤية الهلال. والشهر القمري هو مدة دوران القمر حول الأرض دورة واحدة.

وفيما يلي أسماء الشهور العربية، وهي أعلامٌ عليها، لا يجوز تحريفها. وكلُّها مذكَّرة – كما قال الفرّاء – إلا جُماديين فإنهما مؤنثتان[1]:

الـمُحَرَّم (بالألِف واللام دائمًا).

صَفرٌ

ربيعٌ الأوّل (ولا يقال: ربيع أول).

ربيعٌ الآخِر (ولا يقال: ربيع ثاني ولا الثاني).

جُمادى الأولى (ولا يقال: جُمادى الأول).

جُمادى الآخِرة (ولا يقال: جُمادى الثاني ولا الثانية).

رَجَبٌ ، شعبانُ ، رمضانُ ، شوّالٌ

ذو القِعدة (وفي حالة الجرّ: ذي القعدة).

ذو الحِجَّة (وفي حالة الجرّ: ذي الحجة).

(*) نُشرت في مجلة المجمع، المجلد ٨٧، الجزء ٢.

(١) لمزيد من التفصيل يُنظر كتابي «نحو إتقان الكتابة العلمية / ١١٠».

* يدور القمر حول الأرض في السنة القمرية اثنتي عشرة دورة مستغرقًا ٣٥٤,٣٦٧ يومًا، على حين تدور الأرض حول الشمس دورة واحدة مستغرقة ٣٦٥,٢٥ يومًا تقريبًا، وسُمّيت هذ المدة **السنة الشمسية**. **وعلى هذا يكون:**

$$\frac{\text{السنة الشمسية}}{\textbf{السنة القمرية}} \qquad \frac{٣٦٥,٢٤٢٢}{٣٥٤,٣٦٧} = ١,٠٣٠٦٨٩$$

ولما كانت نسبة قياسين لمقدار واحد باستعمال وحدتين مختلفتين تساوي **مقلوب** نسبة هاتين الوحدتين، كان:

$$\frac{\text{المدة (مقدَّرة بالسنة الشمسية)}}{\textbf{المدة نفسها (مقدَّرة بالسنة القمرية)}} = \frac{١}{١,٠٣٠٦٨٩} = ٠,٩٧٠٢٢٤٦$$

فمثلًا، جاء في التنزيل العزيز عن أصحاب الكهف: ﴿ولَبِثُوا فِيٓ كَهۡفِهِمۡ ثَلاثمِئَةٍ سِنِيۡنَ وَازۡدادُوۡا تِسۡعًا﴾ [الكهف:٢٥].

أي لبثوا في الكهف /٣٠٩/ سنوات قمرية، وهذه المدة تساوي:

٣٠٩ × ٠,٩٧٠٢٢٤٦ = ٢٩٩,٧٩٩٤ ≈ ٣٠٠ سنة شمسية**!**

وإذا أراد أحدنا أن يحسب بالسنين القمرية ما مضى من عمره، وليكن مضى منه /٦٠/ سنة شمسية، فهذا يساوي:

٦٠ سنة شمسية × ١,٠٣٠٦٨٩ = ٦١,٨٤١٣٤ ≈ ٦٢ سنة قمرية.

ونرى أن: كل ٣٢ سنة شمسية = ٣٢,٩٨٢ ≈ ٣٣ سنة قمرية.

وكلّ ١٠٠ سنة شمسية = ١٠٣,٠٦٨٩ سنة قمرية.

* لم يكن للعرب مبدأ زمني ثابت يؤرخون به حوادثهم(٢). فقد أَرَّخوا في أول الأمر بالسنة التي بنى فيها إبراهيم عليه السلام الكعبة، وكان ذلك نحو

(٢) الموسوعة العربية (٦/ ٧٣٠).

/ ١٨٥٥ / ق.م. بعد ذلك اتخذوا سنة انهيار سَدِّ مأرب مبدأ لتاريخهم، وحدث ذلك نحو / ١٢٠ / ق.م . كما استعمل العرب حوادث أخرى، منها **موتُ كعب بن لؤي**، الجد السابع للنبي العربي عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك في عام / ٦٠ / م، **ورئاسةُ عمرو بن لحي** سنة / ٢٦٠ / م، **وعامُ الفيل**، حين تَوجَّه القائد الحبشي أبرهة بجيشه من اليمن إلى مكة لإخضاع العرب، وكان هو كبير أصحاب الفيل، وانتهت حَمْلتُه بهزيمة منكرة بفضل المعجزة الإلهية التي خلّدها التنزيل العزيز في «سورة الفيل». سمّي العام الذي حدثت فيه هذه الواقعة بعام الفيل، وفيه وُلِد النبي العربي الكريم، وكان ذلك سنة / ٥٧١ / م. ثم اتخذ العرب سنة **تجديد بناء الكعبة** مبدأ لتاريخهم، وكان ذلك سنة / ٦٠٥ / م.

* كانت السنة القمرية تبدأ بشهر المحرَّم منذ زمن قديم. واستمر ذلك بعد الإسلام. أمّا التقويم الهجري فقد وُضع في عهد الخليفة عمر بن الخطَّاب، وكان ذلك يوم الأربعاء في ٢١ من جمادى الآخرة سنة / ١٧ / للهجرة، إذ اعتُدّت السنة التي حدثت فيها هجرة الرسول العربي الكريم من مكة إلى المدينة السنة الأولى للهجرة.

* وأمّا الهجرة نفسها فقد حدثت حين انطلق الرسول الكريم ومعه أبو بكر الصِّدِّيق إلى غار «ثَور» على أطراف مكة، في / ٢٧ / صَفَر (تموز ٦٢٢م). فمكثا فيه ثلاثة أيام، وقُريش تطلبهما، ثم خرجا منه مُتجهَيْن صوبَ المدينة، فوصلاها يوم الإثنين / ٨ / ربيع الأول[٣].

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(٣) الموسوعة الإسلامية المُيسَّرة (١٠/ ٢١٧٦).

عَـبْــر (*)

مما جاء في معاجم اللغة:

عَبَرَ النهرَ عَبْرًا وعُبُورًا: قطعه من عِبْرِهِ إلى عِبْرِهِ، أي من شاطئِهِ إلى شاطئِه.

عَبَرَ الطريقَ: قطعه من جانب إلى جانب.

عَبَرَ السبيلَ: شَقَّها، وهو عابر سبيل.

عَبَرَ فلانٌ يَعْبُرُ عَبْرًا: جرت دمعته.

عَبَرَ الرؤيا عَبْرًا وعِبارة: فسَّرها.

* شاع في اللغة العصرية شيوعًا واسعًا استعمال التركيب (عَبْرَ كذا) بنصب المصدر (عَبْر) على الظرفية المكانية! ومن هذه الاستعمالات ما هو مقبول، ومنها ما هو غير مقبول كما سنرى.

وليس من النادر في لغتنا إيقاع كلمات موقع الظرفية المكانية المختصة ونَصْبُها على الظرفية مثل (طيَّ، ضمِنَ، باطنَ، عَبْرَ)، مع أن ظروف المكان التي تُنْصب هي الظروف المبهمة مثل (أمام، وراء، يمين، يسار، فوق، تحت... جانِب، مكان، ناحية...). لكن النحاة أجازوا نصبَ عددٍ من الظروف المكانية المختصة – على الاتساع – سواء أكانت الأسماء مصادرَ أم كُنَّ غير مصادر.

(*) نُشرت في مجلة المجمع، المجلد ٨٧، الجزء ٣.

* وقد نظر **مجمع القاهرة** في هذه المسألة[1] فقال: إن التعبير (سار عَبْرَ البحار) صحيح على الحقيقة، والتعبير (كان النصر حليف العرب في معاركهم عَبْرَ (التاريخ) صحيح على المجاز بتشبيه زمن التاريخ بالمسافة البعيدة التي يقطعها المسافر. أما لفظ (عَبْرَ) فيهما فهو مصدر يُعرب حالاً على تأويله باسم الفاعل.

ثم عاد مجمع القاهرة إلى النظر في بعض مشتقات مادة (ع ب ر)[2] وذكَرَ أن إقامة المصدر مقام اسم الفاعل ليست بمستحدثة، ففي التنزيل العزيز:

﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

أي يأتينك مُسْرعات. وفيه أيضاً:

﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]

أي ادعوه خائفين من عذابه وراجين رحمته.

* «عَبْر» مقابل **through**؟

لكلمة through الإنكليزية معانٍ كثيرة، منها:

بسبب، بواسطة، بفضل، على يد (فلان)، إلى نهاية (كذا)، وتأتي أحياناً بمعنى المصدر (عَبْر). جاء في معجم اكسفورد:

The River Thames flows through London.

أي: يعبر / يجتاز نهر التيمز مدينة لندن، أو:

يجري نهر التيمز عابراً لندن.

---

(١) كتاب الألفاظ والأساليب، الجزء الأول، ص٢٠٤، صدر سنة ١٩٧٧.

(٢) كتاب الألفاظ والأساليب، الجزء الثاني، ص٢٠٥، صدر سنة ٢٠١٠.

فإذا وضعنا المصدر (عَبْر) مكان اسم الفاعل صارت العبارة:

«يجري نهر التيمز عَبْرَ لندن»، وهذه ترجمة مقبولة(٣):

ولكن إذا صحَّ هنا ترجمة through بـ (عَبْـر) لوصـف عبـور النهـر للمدينـة، فهذا لا يعني أن تُستعمل (عبر) مقابل through حيثما وردت الكلمة الإنكليزيـة فـي النصوص المراد ترجمتها، دون اكتراث للسياق الذي وردت فيـه، ولـولم تكـن ثمـة علاقة بالعبور الحقيقـي أو المجـازي! ولمـا كـان معظـم المشـتغلين بالترجمـة فـي الصحافة وغيرها يَحفظون لِلَّفْظ الأجنبي مقابلاً عربيًّا واحدًا [لكي لا يُتعبوا أنفسَـهم بالبحث في المعجم عـن المعنـى المناسـب للسـياق] انتشــر اسـتعمالُ (عبـر) غيـرُ السليم انتشـارًا مُخيفًـا، مُشـوِّهًا لُغتنـا الجميلـة؛ ذلـك أن أغلـب القُـرَّاء «يلتقطـون» الكلمات والتراكيب الجديدة عليهم، ويستعملونها حين يكتبون، مقلِّـدين! ظنًّـا مـنهم أنهم «يُسايرون» العَصْر، ويُماشون سنَّة التطور... ولذا شاع اسـتعمال كلمـات كثيـرة في غير ما وُضِعت له، مثل:

عَبْر، الشفافية، من خلال، تَمَعَّن، ناهيك....

وقـد عالجـتُ في كتـابي (نحـو إتقـان الكتابـة العلميـة باللغـة العربيـة) الكلـمات المذكورة وغيرَها، باستثناء الأولى التي أتحدث عنها الآن.

* صـادفتُ في أثنـاء مطـالعتي لكتابـاتٍ معـاصرة، عبـاراتٍ كثـيرةً اسـتُعمل في بعضها (عَبْرَ) استعمالاً مقبولاً على الحقيقة، أو على المجاز، نحو:

(٣) عابرًا: حال صاحبها النهر؛ و (عبر لندن) حال أيضًـا، إذ قـد تـأتي الحـال بلفـظ المعرَّف بالإضـافة، نحو: اجتهدْ وحدَكْ!

١– ... ها هي فرنسا، منارة العالَم الثقافية، تترنَّح أمام الإعصار الثقافي الذي يهبُّ عليها عَبْرَ الأطلسي.

٢– ... ويغادرُ الجهازَ جزءٌ صغير من هذه الفوتونات عَبْر المرآة نِصْفِ الشفافة على هيئة شعاع ليزري.

٣– هذا المفعول هو تفاعلٌ بين موجة ضوئية وأخرى صوتية تمرّان عَبْر مادة بعينها، يؤدي إلى حرف أو تعديل الموجة الضوئية.

٤– حقّق الحاسوب خلال نصف قرن – عَبْرَ رحلةٍ مثيرة من التطور العلمي – التِّقانيّ الذي لم يسبق له مثيل – درجةً عاليةً من النضج مَكَّنَتْهُ من..

٥– ... وقد جرى استعمال هذه الكلمة (ترجمة) – عَبْرَ الزمن – بمَعانٍ جديدة، فأصبحتْ تعني مَن يكتب سيرة شخصٍ أو أشخاصٍ...

* ولكن صادفتُ أيضًا عباراتٍ كثيرةً، جاءت فيها كلمة (عبر) في غير محلّها الصحيح! فأوردتُ بعضها هنا، ووضعتُ بين قوسين، بعد كلمة عبر، بديلها الجيد الذي كان ينبغي استعماله:

١– يمكن الحفاظ على أكثر من نسخة واحدة عَبْرَ (بـ) إعادة نَسْخ معطياتها.

٢– ... وذلك عبر (بـ) أَخْذِ متوسط جميع القيم.

٣– ...تعالَج التدخلات عبر (بـ) إضافة سبب مباشر إلى متغير الإنذار.

٤– ... فيُكثّف الشاعرُ مشهد القوة عبر (بأن يقول) الشعر.

٥– ... عبر (بسبب) الشيخوخة...

٦– يتصل الشعر بالوظيفة عبر محاولة (فيُحاول) الشاعرُ رَسْمَ...

٧- ... التنسيق بين الإعلام والاتصالات عبر (باستعمال) الوسائط المتعددة...

٨- يوزَّع الهواء البارد في المبنى عبر (بـ) مجموعة من المراوح.

٩- تُنقل البيانات عبر (بـ/ بطريق) الروابط اللاسلكية.

١٠- إن عدد غير الملتحقين فعليًّا بالمدرسة عبر (بسبب) عدم التسجيل فيها يساوي...

١١- ... فاتصل به عبر (بـ) الهاتف الخَلَوِيّ.

١٢- يحقق الشاعر طموحه عبر (بفضل) هذا الانتماء!

١٣- ... وعبر (من خلال) الجدل الدائم تتجلى استجابة الشاعر.

١٤- ... وعبر (بـ) العصبية يلتحم الشاعر الجاهلي...

١٥- ... للتخفيف من الخطر عبر (بـ) مراقبة تغيرات تركيز بعض العناصر الكيميائية في المياه الجوفية.

١٦- ... ذلك الزخم المعرفي الذي امتد صُعُدًا عبر (على أجنحة) الفتوحات الإسلامية.

١٧- ينتقل الضجيج والاهتزاز عبر (بـ) موجاتٍ جَيْبِيَّة.

١٨- تتجرع الذاتُ الألم عبر (نتيجة) الإحساس بالمصير الجماعي.

١٩- ... وذلك عبر (بـ) التعاون مع وزارة التربية!

٢٠- تَحمَّل الشاعرُ المسؤولية عبر (من طريق) الكلمة، الشِّعر!

٢١- تخفيف الضغط السكاني الداخلي عبر (وذلك بـ) دعم اليابانيين لإيجاد فرص عملٍ لهم في الخارج.

٢٢- نلاحظ تَعارضَ الممارسات مع الخطاب عبر (وذلك بِسَنِّ) القوانين الاستثنائية والممارسات التي تستعير وسائلَها من النظم الدكتاتورية.

٢٣- ... اعتلال صحة عشرات الآلاف من اليابانيين عبر (في) أجيالٍ متعاقبة نظراً للتخلف التكنولوجي آنذاك (سنة ١٩٤٥).

٢٤- ... التأهيل التربوي للمدرسين عبر (بالاستفادة من / بواسطة) التعليم الشبكي بالتعاون مع الجامعة الافتراضية.

السَّوْءُ والسُّوْء(*)

جاء في معاجم اللغة:

- «ساءَ فِعْلُ فلانٍ يَسُوْءُ سَوْءًا وسَواءً: لَحِقَه ما يَشِيْنُه ويُقَبِّحُهُ فهو سَيِّء، وهي سيئة.

- ساءَ فلانٌ صنيعًا: أي قَبُح صنيعُه صنيعًا.

وتقول: **ساء به ظنًّا:** لم يُحْسِن فيه ظَنَّه وارتاب فيه وشكَّ.

- ساءَ فلانًا يَسُوْءُهُ **سَوْءًا وسُوْءًا ومَسَاءةً** وسَواءً و...: فَعَل به ما يَكره، وهو نقيض سَرَّهُ.

- السَّوْءُ (بالفتح) هو **المصدر** من ساءَهُ (أي فِعْلُ ما يُكرَه).

- والسُّوء (بالضم) هو **الاسم**، وهو كلُّ ما يغمُّ الإنسانَ وكلُّ ما يَقْبُحُ. والسُّوْء اسمٌ جامعٌ للآفات». اهـ.

• وقد ورد المصدر (السَّوْء) في القرآن الكريم تسع مرات كان فيها جميعًا **مضافًا إليه ما يُراد ذَمُّه**، كما يقال: هذا رجُلُ سَوْءٍ: هذا رجلٌ قبيح، سيِّء.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨].

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [التوبة: ٩٨].

دائرة السَّوء: أي الهزيمة والبلاء والعذاب.

(*) نشرت في مجلة المجمع، المجلد ٨٧، الجزء ٤.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾[الفرقان: ٤٠].

مطر السَّوء: مطر الإفساد والإهلاك، والمقصود هنا رَمْيُ القرية بالحجارة لإهلاك أهلها.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[الفتح: ٦].

- يقال **رجُلُ سَوْء** كما يقال **رجُلُ السَّوْء** (بالألف واللام) أي رجل الأعمال الشائنة القبيحة. **ولا يقال**: رجُلُ السُّوء (بالضم) وعلّله ابن برّي بأن السُّوء اسمٌ للضُّرِّ وسُوء الحال، وإنما تجوز الإضافة إلى المصدر الذي هو فِعْله، كما يقال: رجُلُ الضَّرْبِ والطعْنِ، فيقوم ذلك مقام قولك: ضَرَّاب طَعَّان، فلهذا جاز أن يقال رجُلُ السَّوء ولم يجز أن يقال رجل السُّوء. ويقال: لا خير في قول السَّوْء والسُّوء (بالفتح والضم). فإذا فتحت فمعناه: لا خير في قولٍ قبيح، وإذا ضمَمْتَ فمعناه: لا خير في أن تقول سُوْءًا (أي قولاً قبيحًا).

- أما السُّوْء – وهو كما ذكرنا كلُّ ما يغمّ الإنسان، وكلّ ما يَقْبُحُ، وهو اسم جامعٌ للآفات – فقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم أربعًا وأربعين مرة كان فيها:

١ – **مضافًا** (ولذا جاء نكرة)، نحو:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾[البقرة: ٤٩].

سُوءُ العذاب: شديدُه أو استمراره (معجم ألفاظ القرآن الكريم).

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾[فاطر: ٨].

سُوءُ عملِهِ: عملُه السيِّئ.

﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٥٩].

سُوْء ما بُشِّر به: المراد: المولودة الأنثى.

٢- غير مُضاف (ولذا جاء نكرة وجاء معرفة)، نحو:

﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾[آل عمران: ١٧٤].

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[الأعراف: ٧٣].

﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾[البقرة: ١٦٩]، أي بالسيِّئ القبيح.

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾[النساء: ١٤٨].

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾[النمل: ٦٢].

- جاء في المعجم الوسيط:

«ساء: كلمة تقال في **إنشاء الذمّ** كبئسَ. يقال: ساء ما يَفعل. وفي التنزيل العزيز:

﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[المنافقون: ٢].

أساء فلانٌ: أتى بسيِّئ؛ نقيض أحْسَنَ، أي عَمِلَ سُوْءًا.

أساء فلانٌ العملَ: أفسده ولم يحْسِنه، ألْحَقَ به ما يَضرُّه ويَشِينه ويَعيبُه.

وفي المَثَل: أساء كارِهٌ ما عمِل!

أساء فلانًا وبه وله وإليه وعليه، بمعنى واحد: ساءَهُ: فَعَلَ به ما يَكْره.

يقال: أساء به الظَّنَّ (بالألِف واللام): لم يُحْسِن فيه ظَنَّهُ وارتاب فيه وشَكَّ، **ولا يقال:** أساء به ظنًّا.

ومما له صلة بما ذكرتُ آنفًا ما جاء في «مجلة مجمع اللغة العربية الأردني»؛ فقد نشرت في عددها / ٧١/ الصادر في سنة / ٢٠٠٦م/ مقالة طويلة للناقد اللغوي

البارع الأستاذ صبحي البصّام عنوانها: «إصلاح كتاب الحيوان» (ص١٣١- ١٨٧)، انتقد فيها على الجاحظ أشياء كثيرة، كما انتقد على محقق الكتاب، الأستاذ الكبير عبد السلام هارون، «غَفْلَتَه عن نحو / ١٤٥/ تحريفًا ونحو / ٤٥/ تصحيفًا، وخَطَّأه في ضبطِ كلمات بالشكل، وأَخْذِهِ بالغلط الذي في سائر الأصول مع إعراضه عن الصواب الذي في نسخة (ل)، وكثرةَ أَخْذِه بالغلط الذي في نسخة (ل) مع إعراضه عن الصواب الذي في سائر الأصول». وانتقد عليه أيضًا أشياءَ أخرى...

ومما يتصل بالخطأ في الضبط بالشكل، وبكلمة «سَوْء» تحديدًا، ما جاء في كتاب الحيوان (١/ ٢٨٦):

- «فأما اليَتْنُ فخروج رِجْل المولود قبل رأسه، وذلك علامة سُوْء»، وضُمَّت السين من (سُوء) والصواب فتحها.

- **وتكرر مثل ذلك** في مواضع من الكتاب كما في (٣/ ٨٣) في قول معن ابن أوس:

إذا المجد الرفيع تَعاورتْه ... بُناة السُّوء أوشك أن يضيعا

- وكما في قول المقنع الكندي (٣/ ١٣٨):

وصاحب السُّوء كالدَّاء العَيَاء إذا ... ما ارفضَّ في الجوف يجري ههنا وهنا

كَمُهْرِ سُوءٍ إذا رفعتَ سِيْرته ... رام الجماح وإن خَفَّضْتَه حَرَنا

وتابع الأستاذ البصام نقده لعدم التمييز بين (سُوء) و(سَوء)، فقال إن ذلك له نظائر في كتبٍ كثيرة، منها ما هي مراجع عالية المنزلة، وهي تدل على سَهْو المحقق أو عدم تَثَبُّتِهِ أو... وأورد شواهد من تسعة كتب شهيرة، ذكَرَ أسماء مؤلفيها أو محققيها - وهم أساتذة كبار - وبيَّن وجه الصواب:

- ففي «رياض الصالحين» ١٥٩ ورد الحديث النبوي: «وإنما مَثَل الجليس الصالح وجليس السُّوء كحامل المِسْك ونافخ الكير»، وضُمَّت السين من (السُّوء) والصواب فتحها.

- وفي كتاب العين (٨/ ٤٣ بلد):

جرى طَلَقًا حتى إذا قيل سايح   تداركه أعراق سُوء فبلَّدا

- وفي «لسان العرب» (مادة: خبط): «نعوذ بالله من خاتمة السُّوء»، والصواب: السَّوء بالفتح.

- وفي «نهج البلاغة» (١/ ٢١٦): «وصَدَقَة العلانية فإنها تدفع ميتة السُّوء»، والصواب الفتح.

- وفي «الأغاني» (١٧/ ١١٩): «إن عامِرًا أنزلكم منزل سُوء» والصواب فتح السين.

- وفي ديوان حسّان بن ثابت، ١٨٠ لحسّان:

أرى كثرة المعروف يورث أهله   وسَوَّدَ عصرُ السُّوء غيرَ المُسَوَّدِ

والصواب فتح السين.

- وفي «الجليس الصالح الكافي» (١/ ١٣١):

فتلك ولاة السُّوء قد طال عهدهم   فَحتّام حتَّام العناءُ المُطَوَّلُ

والصواب فتح السين.

- وفي ديوان القطامي ٥٣ (طبعة بريل) للقطامي:

فلـمّا بدا حرمانها الضيف لم يكن   عليّ مناخ السُّوء ضَربة لازبِ

والصواب فتح السين.

- وفي ديوان حاتم الطائي وأخباره ٢٢٣ لحاتم:

تَبَغَّ ابن عمِّ الصدقِ حيثُ لقيتَه   فإن ابنَ عمِّ السُّوءِ إنْ سَرَّ يُخلِفُ

والصواب فتح السين.

۞ ۞ ۞ ۞ ۞

الرَّحمان الرَّحيم(*)

تمهيد

من المعلوم أن مفردات المعجم محدودة العدد ولو بلغ مئات الآلاف، أما المعاني فلا حصر لها. يقول الجاحظ: «المعاني كثيرة وأسماؤها قليلة». لذا كانت قلة الألفاظ وكثرة المعاني سببًا من أسباب إنكار الترادف، لأن الترادف عكسُ تَعَدُّدِ المعنى للَّفظ الواحد؛ ذلك أن الترادف يجمع عددًا من الألفاظ على معنًى واحد، وهذا ما أدى إلى نشوء كتب «الفروق في اللغة» لإقامة الدليل على أن كلًّا من المترادفَيْن المزعومين ينطوي على ظلٍّ من المعنى لا يشتمل عليه رفيقه.

قال أبو هلال العسكري في كتابه «الفروق في اللغة»[1]:

«الرحمان على ما قال ابن عباس أرقّ من الرحيم...، وعندنا أن الرحيم مبالغةٌ، لعُدُوله، وأنّ الرحمان أشد مبالغةً لأنه أشد عُدُولًا. وإذا كان العُدول على المبالغة، فكلما كان أشد عدولًا كان أشد مبالغة».

أرى أنه بقوله (الرحيم مبالغةٌ لعُدوله) يعني أن (الرحيم) مَعدول عن (الراحم) للمبالغة؛ لأن من أوزان مبالغة بعض أسماء الفاعلين (فَعِيْل)، فكما يقال عالم وعليم، وسامع وسميع، وشاهد وشهيد، وآلِف وأليف، يقال راحم ورحيم، وندعوه تعالى فنقول: يا أرحم الراحمين ارحمنا، فالفرق عند العسكري فرق في «الكَمِّ» فقط.

(*) نُشرت في مجلة المجمع، المجلد ٨٨، الجزء ١.

(١) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة/ ١٨٩، ط ٥، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

قال ابن خالويه: «...لأن الرحمان خاصٌّ لله». وجاء في المعجم الوسيط: «الرحمان: الكثير الرحمة، وهو وصفٌ مقصورٌ على الله عَزَّ وجلَّ، ولا يجوز أن يقال لغيره». وعلى هذا يمكن أن يقال عن إنسان إنه رحيم.

وقد تعمّق الدكتور تَمّام حسّان رحمه الله في البحث عن الفرق بين معاني الرحمان والرحيم، فاستقرى نصوص القرآن الكريم لاستخراج الفرق في المعنى، أخْذًا من سياق النص القرآني. وقد تبين له أن كلًّا من اللفظين مخصوصٌ باستعمالاتٍ تحدّد لكلٍّ منهما **تواردًا مع بعض الألفاظ لا يتوارد معها اللفظ الآخر**. ورأيت من المفيد أن أعراض النتائج التي توصَّل إليها الدكتور تمّام حسّان كما أوردها في كتابه «البيان في روائع القرآن»[٢].

١- الرحمان يُخشى منه ومن عذابه، وليس الرحيم كذلك: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١].

٢- والرحمان خالق الكون، ولا يَرِدُ الخَلْق مع الرحيم: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣].

٣- والإنسان يعوذ بالرحمان ولا يقول أعوذ بالرحيم:

﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨].

٤- والنَّذْر إنَّما يكون للرحمان:

﴿ فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦].

---

(٢) الدكتور تمام حسان، البيان في روائع القرآن ١/ ٢٩٤، منشورات عالم الكتب، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

٥- والشيطان يعصي الرحمان الذي تجب طاعته ويُخشى عذابه:

﴿ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَـٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَـٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤].

وكذلك: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَـٰنِ عِتِيًّا ﴾ [مريم: ٦٩].

٦- والرحمان يُسجد له، ولم يُقَل ذلك في الرحيم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَـٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠].

٧- ويُنسب العِباد إلى الرحمان ولم يُنسبوا إلى الرحيم: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وكذلك: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَـٰنِ عَبۡدًا ﴾ [مريم: ٩٣].

وأيضًا: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَـٰدُ ٱلرَّحۡمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩].

٨- والرحمان يُملي لعباده ويمدّ لهم في الضلالة إن ضلوا: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ مَدًّا ﴾ [مريم: ٧٥].

٩- والعهد يُتّخذ عند الرحمان: ﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ عَهۡدًا ﴾ [مريم: ٨٧].

وكذلك: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ عَهۡدًا ﴾ [مريم: ٧٨].

١٠- والحَشر يوم القيامة إنما يكون إلى الرحمان: ﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَـٰنِ وَفۡدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

١١- والرحمان يستوي على العرش: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

١٢- والربوبية للرحمان ولم تنسب إلى الرحيم: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴾ [طه: ٩٠].

١٣- وتخشع الأصوات يوم القيامة للرحمان:

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨].

١٤- ولا شفاعة إلا بإذن الرحمان:

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩].

وكذلك: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ: ٣٨].

١٥- ولا حماية لأحدٍ من الرحمان:

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

١٦- والرحمان يعذِّب من يشاء:

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [مريم: ٤٥].

١٧- والرحمان هو المستعان: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

١٨- والرحمان له الملك: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٢٦].

١٩- والرحمان يريد للعصاة الضرّ أحيانًا:

﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [يس: ٢٣].

٢٠- والرحمان صاحب المشيئة:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ [الزخرف: ٢٠].

● يؤخذ مما تقدم أن الرّحمان هو المتصف **برحمة الهيمنة** التي يكون لها كلُّ ما يُنسب إليها في الآيات السابقة. ولقد علمنا من السيرة النبوية ومن الاستعمال اللغوي عند العرب أن ((مُسَيْلمةَ الكذاب)) الذي كان يسيطر على إقليم اليمامة من أقاليم نَجْد، كان يُلقّب نفسه بلقب ((رحمان اليمامة)) أي المهيمن على هذا الإقليم.

أما الرحيم فرحمته تقترن بالتوبة والرأفة والمغفرة والودّ والبِرّ على النحو التالي:

١ – **التوبة**: قال تعالى:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

٢– **الرأفة**: قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٧].

﴿ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩].

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

٣– **المغفرة**: قال تعالى:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٨٩].

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩١].

٤- **الوُدّ**: قال تعالى:

﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود: ٩٠].

٥- **البِرّ**: قال تعالى:

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨].

٦- ويأتي **لفظ** «**الرحيم**» **في صحبة لفظ** «**العزيز**» إمَّا في سياق **الوعد بالنصر** كما في قوله تعالى: ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ٥].

وكذلك: ﴿ **وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾. [الدخان: ٤١-٤٢].

- أو في **طلب التَّوكُّل**، نحو: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧].
- أو الكلام عن **تنزيل الكتاب**، نحو: ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [يس: ٥].

أمَّا في سورة الشعراء فقد وردت صفة العزيز الرحيم عدة مرات (٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١) في معرض الحكم على نتائج رسالات الأنبياء عليهم السلام، وذلك على صورةٍ مُوَحَّدةٍ هي:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٨-٩].

فالعزّة هنا متعلِّقة بوجود (الآية) الدَّالة على قدرة الله. **ومعنى كل ذلك أن هناك فرقًا في المعنى** بين لفظي «الرحمان» و «الرحيم»، على اشتراكهما في الاشتقاق والوصف بالرحمة.

القَيْـد- قَيْـدَ كذا(*)

مازال فلانٌ في قيدِ الحياة / مازال حيًّا

لا: لا زال فلانٌ على قيدِ الحياة / لازال حيًّا!

أولًا: تدخل (ما) **النافية** على الفعلين **الماضي** و**المضارع** فيقال: مـازال، مـايزال، فيُدل بهما على **الإثبات** و**على الاستمرار**، نحو: مازال/ مايزال الجوّ باردًا.

وتدخل (لا) النافية على المضارع[1]، نحو: لايزال الجو بـاردًا، ولاتـدخل علـى الماضي **لإفادة النفي**، فلا يقال: (لا جاء فلان) بل (ما جاء فلان)، ولا يقـال (لازال الجو باردًا) بل (لا يزال الجو باردًا)!

ولكن تستعمل (لا) مع الماضي **لتكرار النفـي**، نحـو: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾ [القيامـة: ٣١]، أو لتفيد **الدعاء** (بالخير أو بالشـرّ) **لا النفي!!** نحو: لا سـمح الله؛ لا قـدَّر الله؛ لا أراكَ الله مكروهًا؛ لا عدمتُك، لا زال بيتك عامرًا؛ لا فُضَّ فُوْكَ.

قال المالقي في (رصف المباني): «واعلم أن (لا) هذه التي للدعاء، يجـوز أن تـدخل على **الماضي**، ويكون معناه إذ ذاك **الاستقبال**، فيقال: لا غفر الله لزيدٍ ولا رَحِمَهُ...».

ينسب إلى الإمام الشافعي قوله في الوعد:

يـا واعـدًا الوعـد لـيس يُنجـزه	أفٍّ لِمـن لا يُتـمُّ مـا وعـدا
أُفٍّ لمـن لا يـزال صـاحبه	في تعـبٍ مـن عذابـه أبـدا
أَكُـلُّ طـولِ الزمـانِ أنـت إذا	جئتـك في حاجـة تقـول غـدا؟
لا جَعَـلَ الله لي إليـك ولا	عنـدك مـا عِشـتُ حاجـةً أبـدا

(*) نُشرت في مجلة المجمع، المجلد ٨٨، الجزء ٣.

(١) الفرق بين نفي المضارع بـ (لا) ونفيه بـ (ما)، أنه إذا نُفي بها، تخلَّص عند الجمهور للحال، كما في المُغني.

ثانيًا: جاء في معاجم اللغة (ق ي د):

١ - قاده يَقِيْدُهُ **قَيْدًا**: قَيَّدَهُ تقييدًا: جَعَلَ القَيْدَ في رِجْلِهِ.(٢)

٢ - **القَيْدُ**: حَبلٌ ونحوه يُجعل في رِجل الدابة **وغيرها** فيُمسكها.

٣- الكبْل: القيد من أي شيء كان.

٤ - يقال للفرس الجواد: قيدُ الأوابد: أي سريع العَدْوِ، فيُدرِك الوحوش ويمنعها الشِّرادَ كما يمنعها القيدُ، فتُصاد!

• قال امرؤ القيس:

وقد أغتدي والطيرُ في وُكْناتِها ... بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابدِ هيكلِ

[المنجرد: الفرس السريع العَدْوِ]

٥ - يقال: فرسٌ **قيْدٌ**: ذَلولٌ مُنقاد!

فالقيد إذن مصدرٌ، واسم ذات، وصفة.

٦ - يقال: رَسَفَ في القيدِ رَسْفًا ورَسَفانًا: مشى فيه رويدًا.

واستُعمل القيد على المجاز:

١ - جاء في الأدب الكبير والأدب الصغير، لابن المقفَّع (١٤٢هـ):

«حاز الخيرَ رَجُلان: سعيدٌ ومَرْجُوٌّ: فالسعيدُ الفالجُ، والمرجوُّ مَن لم يَخْصَمْ، والفالجُ الصالحُ **مادام في قيد الحياة!**». لم يقل: **على** قيد الحياة!

الفالجُ: الفائز (لسان العرب)، والظافر. مَن لم يَخْصَم: لم يكن شديد الخصومة.

---

(٢) إن ظاهرة ((قلب الكلام عن وجهه)) وردت في كلام العرب، وهي مفهومة من سياق الكلام، ويُضرب لها المَثَلُ: أدخلتُ الخاتمَ في إصبعي.

ومن الواضح أن المقصود هو إدخالُ الإصبع في الخاتم، وجَعْلُ الرِجْل في القيد.

وهذه التراكيب الثابتة المسموعة لا يقاس عليها، فقد سُمع قولهم: (خَرَقَ الثوبُ المسمارَ) بنصب المسمار؛ ولكن لا يجوز أن نقول مثلًا: خرق القماشُ الإبرةَ!).

وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾[سبأ: ٣٣].

٢- وقال أبو العلاء المعرّي (٤٤٩ هـ):

أَراني في **قَيــــد الحيـــاة** مُكلَّفًـــا ثَقائــلَ أمشـــي تحتَهــا وأُطــابقُ

٣- وجاء في دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي (٤٦٧هـ):

... وهو بعدُ **في قَيدِ الحياة**...

٤- وجاء في وَفَيات الأعيان وأنباء أهل الزمان لابن خلكان (٦٨١هـ):

... واستوصاه خيرًا في نفسه ما دام **في قَيد الحياة**.

٥- وجاء في البحر المحيط لأبي حيّان النحوي (٧٤٥هـ):

... لأنه ما دام المرء **في قَيد الحياة** لا يقطع أنه صائرٌ إلى الجنّة...

٦- وجاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري (٨٠٨هـ):

... فأمر له الرشيد بألفي دينار، وقال: هي لك مِنّا ما **دُمنا في قيد الحياة**.

٧- وجاء في "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" لابن حَجَر العسقلاني (٨٥٢هـ):

... وكانت والدته إذ ذاك **في قَيد الحياة**...

٨- وجاء في "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي (٨٧٤ هـ):

... وهي إلى الآن **في قَيد الحياة**...

٩- وجاء في "نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة" للمُحِبّي (١١١١هـ):

قسمًا بوجهِكِ وهو شـمسٌ أشرقـتْ وبـما بِفيْـكِ مِـنَ الرُّضـابِ المُسْـكِرِ
لاحُلْتُ عن مُرِّ الهـوى مـا دمـتُ **في قَيـدِ الحيـاة** ولــو بُعِثــتُ لِمَحْشَـــرِ

١٠- وقال ابن مطروح:

لا أرعـــوي لا أنتهـــي لا أنثنـــي عــن حُبِّــهِ فَلْيَهْــذِ فيــه مَــن هَــذَى
واللهِ مـــاخَطَرَ السُّـــلُوُّ بخـــاطري مادمـــتُ في قَيـــدِ الحيـــاة ولا إذا!

[أي ولا إذا مُتُّ!].

نلاحظ أن جميع الكتب التراثية المذكورة – وغيرها كثير – أوردت العبارة (في قَيْدِ الحياة)، ولم يَرِد فيها العبارة الشائعة (على قيد الحياة).

أما التعبير القرآنيّ عن هذا المعنى فهو:

﴿ وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١].

حاشية:

قد يتساءل بعضُهم: ألا يصح أن يقال: الكتابُ الفلاني هو **قيدَ الطبع**؟ بنصب (قيدَ) على نَزْعِ الخافض (في). والجواب عند جمهور النحاة هو أن نزع الخافض **سماعيّ!** (جامع الدروس العربية، ٣/ ١٩٦).

ومن الشائع استعمال (قَيْدَ) مُضافةً ومنصوبة: فيقولون:

١ – هذه المقترحات هي الآن **قَيْدَ** الدراسة.

٢ – وُضعت هذه التعليمات **قيدَ** التنفيذ.

٣ – هذه القِطع المصممة حديثًا هي الآن **قيدَ** التصنيع.

٤ – بقي الاتفاق المذكور **قيدَ** الكتمان.

والوجه أن يقال:

١ – هذه المقترحات هي الآن في مرحلة الدراسة. أو: هذه المقترحات تُدرس الآن.

٢ – وُضعت هذه التعليمات مَوضعَ التنفيذ.

٣ – هذه القِطع ... ... هي الآن في مرحلةِ التصنيع.

٤ – بقي الاتفاق المذكور طَيَّ الكتمان/ في طَيِّ الكتمان.

[سُمع نَزْعُ الخافض قبل: طَيَّ، خلالَ، ثِنْيَ، أثناءَ، ضِمْنَ، وَفْق، دَرْجَ، حَسَبَ...]

المصادر الصناعية[*]

وتعريفات دقيقة لثلاثين منها

في كتابي الصادر عن مجمع اللغة العربية بدمشق[1] فقرة طويلة عن «المصدر الصناعي» موجهة- في المقام الأول- للعلميين العاملين في «كليات العلوم»، بيَّنتُ فيها الحاجة إلى هذا المصدر، وأوردت عدداً من المصادر الشائعة في لغة العلوم وغيرها.

ويمكن أن يُعَدُّ هذا المقال تكملة لتلك الفقرة، تناولت فيه باختصار تاريخ هذه الصيغة [التي شاع استعمالها في أيامنا على نطاق واسع تجاوز – بعض الشيء – الحد المقرَّر لها]، ثم أوردت فيه تعريفات دقيقة لثلاثين مصدراً، **جمعتُها** من كتب «الألفاظ والأساليب» التي أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **ومن مراجع أخرى.**

«المصدر الصناعي»صيغة اسمية مؤنثة تُصنع من مصدر أصلي أو من لفظ آخر بأن **يُلحق به ياءٌ مشددة وتاء مربوطة،** (تسمى تاء النقل) وقد قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة **قياسِية صَوْغ هذه الصيغة** لسَدِّ حاجة العلوم والصناعات إلى **ألفاظ جديدة تعبّر عن مَعانٍ جديدة.**

وفي دراسة للشيخ أحمد الإسكندري عضو مجمع القاهرة، أوضح أن **الغرض من بناء صيغة جديدة هو الدلالة على معنًى إضافي،** لا يعبّر عنه اللفظ الذي صُنِعت

(*) نُشرت في مجلة المجمع، المجلد ٨٨، الجزء ٤.

(١) د.مكي الحسني، «نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية»، الطبعة الثالثة، ٢٠١٥.

منه هذه الصيغة. وقد نُشرت دراسة الشيخ الإسكندري في مجلة مجمع القاهرة (١ / ٢١١–٢١٥) الصادرة سنة ١٩٣٤م. وهذه الصيغة تماثل – شكلاً – الصفة المنسوبة المؤنثة، ولكن تختلف عنها من حيث الدلالة.

فإذا قيل: «بُني هذا الجمع على زِنَةٍ **قياسية**» كانت كلمة قياسية **صفةً** لـ(زنة) منسوبةً إلى القياس.

أما إذا قيل – كما مَرَّ آنفًا – «قرر المجمع **قياسيةَ** صوغ هذه الصيغة»، فإن كلمة قياسية هنا تعني أن الصوغ قياسيّ، أي لك أن تصنع لفظاً غير منقول من كلام العرب على مثال لفظ منقول عنهم، أي قياساً عليه. ففي اللغة: قاسَ الشيءَ على غيره قياساً: قدَّره على مثاله. وهذا الصوغ غير مقيَّد **إلا بوجوب الدلالة على معنًى إضافي**.

ومن الجدير ذِكْره أنه في حالة الصوغ من (اسم ذات) يكون الفرق في المعنى واضحاً بين دلالة المصدر الصناعي، ودلالة اسم الذات. فمثلاً، من الواضح جدًّا أن الضباب غير الضبابية، والإنسان غير الإنسانية، والرأسمال غير الرأسمالية، والشخص غير الشخصية، والوحش غير الوحشية.

أما عند الصوغ من (اسم معنى)، مثل وجود وجودية، إشكال إشكالية... فيحتاج التفريق بين الدلالتين أحياناً إلى فضل بيان يأتي من سياق الكلام، إذا لم يكن المصدر الصناعي قد وُضع له تعريف دقيق يوضح دلالته.

وفيما يلي أمثلةٌ تبيّن الفرق في المعنى والاستعمال، بين الصفة المنسوبة المؤنثة والمصدر الصناعي.

١ – تتجلى **منهجيةُ** أعمال فلانٍ المنشورة في جميع ما نشر.

- أعمال فلان المنشورة كلها أعمالٌ **منهجيةٌ** وليست عشوائية.

٢- إن **عبقريةَ** اللغة العربية أَقَرَّ بها العرب والمستشرقون.

- قدَّم فلانٌ للخروج من تلك الورطة خطةً **عبقرية**.

٣- تتجلى **صُوفيَّةُ** هذه الجماعة في سلوك أفرادها.

- سلوكُ فلانٍ يَنِمُّ على نزعةٍ **صوفية**.

٤- إن المجازر الرهيبة التي قامت بها تلك المجموعة فضحتْ **هَمَجِيَّتها** ووحشيَّتها.

- طبيعة تلك المخلوقات البشرية هي طبيعة **همجية**.

إن الشيخ أحمد الحملاوي (١٨٥٦-١٩٣٢) هو أقدم من استعمل **مصطلح** «المصدر الصناعي» أو أوّلهم، وذلك في كتابه «شذا العَرْف في فنّ الصَّرْف». هذا ماذكره د.محمد عبد الوهاب شحاته[٢].

ولكن إذا أمكن القول بأن **مصطلح** «المصدر الصناعي» حديثٌ في وَضْعِه، فإن صيغته لا ينطبق عليها هذا القول: فهي قديمة متناثرة، ودليل قِدَمِها ورودها في الشعر الجاهلي، وفي القرآن الكريم: ﴿ولاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وأول من ناقش صيغة المصدر الصناعي هو- كما يقول د. شحاته - الفَرَّاء (ت٢٠٧#).

وذكر الدكتور محمود فهمي حجازي[٣] أن أبنية المصدر الصناعي عديدة، وأنها تتكون من عناصر مختلفة، نحو:

---

(٢) د. محمد عبد الوهاب شحاته، المصدر الصناعي في العربية / ٥٣/ ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة صدر بعد سنة ١٩٩٣!

(٣) د. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح/ ٥٨، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٣.

- **مصدر أصلي + يّة:**	**إقطاع ← إقطاعية،**	اشتراك ← اشتراكية
- اسم جامد + يّة:	عنصر ← عنصريّة،	فرد ← فردية
- صفة + يّة:	حُرّ ← حُرّية،	صفراء ← صفراوية
- اسم فاعل + يّة:	قابل ← قابلية،	جاذب ← جاذبية
- اسم مفعول + يّة:	مسؤول ← مسؤولية،	مقبول ← مقبولية
- اسم جمع + يّة:	قوم ← قومية،	جمهور ← جمهورية
- كلمة مركبة + يّة:	رأسمال ← رأسمالية	
- كلمة دخيلة + يّة:	مغناطيس ← مغناطيسية،	ديناميك ← ديناميكية.
- صيغة مبالغة + يّة:	حَسّاس ← حسّاسيّة،	شفّاف ← شفّافية.

ويمكن أن نضيف إلى ما ذكره د.حجازي مصادرَ صناعية تحوَّلت عن أسماء منسوبة أُنزلت منزلة الصفات المشتقة **للدلالة على حال الموصوف وهيئته**، نحو: إنسانيّ، حيوانيّ، كمّيّ، جزئيّ، كلّيّ... فإذا أريد التعبير بها عن **جوهر حال الموصوف ومجرّد حقيقته** أُحيلَ الوصف إلى مصدر صناعي نحو: الإنسانيّة الحيوانيّة، الكميّة، الجزئيّة، الكليّة...

والحقيقة أن دلالات المصادر الصناعية متنوعة، فهي تُعبِّر عن **مفاهيم ومذاهب واتجاهات** و...

- فيؤدي المصدر الصناعي أحياناً معنى «**القابلية لكذا**»، نحو: التطورية، الالتصاقية،...
- ويعبِّر عن حالة الشيء **واتصافه بكونه كذا**، نحو: مُتاحية الشيء: كونه متاحًا، موثوقية الشيء: كونه موثوقاً به، مقبولية (المصطلح مثلاً): كونه مقبولاً!

- ويكون **اسماً لبعض الفروع العلمية** أو الثوابت (المقادير المميزة) العلمية نحو: المطيافية، المعلوماتية، المجراعية، الاستقطابية، التحريضية، الناقلية، التوصيلية، الأنتروبية، التأثرية...

وفيما يلي **تعريفات دقيقة** لعددٍ من المصادر الصناعية، مبثوثة في «كتب الألفاظ والأساليب» الأربعة التي أصدرها مجمع القاهرة:

- الإشكال: الأمر يوجب التباسًا في الفهم (معجم النفائس الكبير).

١- **الإشكالية ٤/ ٥٨٠**(٤): المعضلة الفكرية التي تحتاج إلى درس عميق وتأمُّل طويل لِحَلِّها والخروج منها.

٢- **الأنانية: ٢/ ٣٠٢**: الأَثَرَة وحُبّ الذات، (وهي مشتقة من أنا).

٣- **الآلية ٤/ ١٨**: الفاعلية أو نظام العمل أو إجراءات التنفيذ.

٤- **الأولوية ٤/ ٥٥٧**: الأسبقية والأَحَقيّة في ترتيب الأمور المطلوب إنجازها. [مشتقة من (أَوْلى) أي أَحَقّ وأجدر].

٥- **التخصيصية ٣/ ٢١٥**: تحويل القطاع العام إلى القطاع الخاص. وهذا المصطلح أنسب وأَوْلى من الخَصْخَصَة**!**

٦- **الجِنْسانيّة ٤/ ٤٥٥**: الميل إلى الجنس وإثارة الشهوات الجنسيّة. أما «الجنسية» فتُستعمل للدلالة على الهوية الوطنية.

٧- **الجاهزية ٤/ ٣٧٩**: تمام الاستعداد والتَّهَيُّؤ لأداء عملٍ ما.

٨- **الحسّاسيّة والشفّافيّة ٢/ ٣٠٢و٤/ ٦٣**: مشتقان من الحسّاس والشّفاف بمعنى: كون الشيء حسَّاسًا أو شفّافًا، وأجاز المجمع تشديد السين والفاء

---

(٤) ٤/ ٥٨٠: أي الجزء الرابع من (كتاب الألفاظ والأساليب)، الصفحة ٥٨٠.

واليـاء، وتخفيفَهنَّ،علـى وزن فَعَاليَـة مثـل: كراهيـة وعلانيـة وصـلاحية وعتاهية... وتستعمل **الشفافية بمعنى الوضوح في التعامل**.

٩- **الضبابية ٤ /٤٧٥**: ضبابيّة الشيء: غموضه (ضبابيّة الأفكار...)

١٠- **الطوعية ٤ /٣٩٧**: التبرع بأعمال الخير من ذات النفس دون فرض أو إلزام.

١١- **العشوائية ٤ /٢٤٧**: للدلالة على النزعـة إلـى إهمـال القواعـد المتعارفـة، والتخبُّط في الأداء على غير هدى أو بصيرة.

١٢- **الماهِيَّة ٤ /٥٠٩**: كُنْه الشيء وحقيقته (مشتقة من ما هو).

١٣- **المحسوبيّة ٣ /٢١١**: تعني اتصاف شخص بأنه مقرَّب من صـاحب نفـوذ، ومعدودٌ ضمن أنصاره.

١٤- **المديونية ٢ /٩٠**: حالة كون الإنسان مَدِيناً.

١٥- **النُّجُومية ٤ /٤٢١**: تعني الاشتهار والظهور الواسع.

١٦- **النُّخْبَوية ٤ /٥١٠**: تعني: النسبة إلى الصفوة المختارة المفضلة على غيرها.

١٧- **الوصولية ٤ /٥١٦**: تعني: محاولة التوصّل إلى تحقيق الأهـداف والمـآرب الشخصية بأيّ طريقٍ كان، ولو على حساب القِيَم والمُثُل الأخلاقية.

- ويمكن أن نضيف إلى ما سبق عددًا مـن المصـادر الصـناعية كمـا ورد تعريفها في «**المعجم الوسيط**» الذي أصدره مجمع القاهرة.

- الإباحة (عند الأصوليين): حكمٌ يقتضي التخيير بين الفعل والتَّرْك.

١٨- **الإباحيّة**: التحلل من قيود القوانين والأخلاق.

- الاتفاق (في القانون الدولي): تَوافقٌ بين دولتين (على إثْـر نـزاع بينهمـا) على إحالة النزاع على التحكيم (مج).

[أقول: الاتفاق عموماً هو ما تمّت الموافقة عليه agreement]

١٩- **الاتفاقية** الدولية: ميثاقٌ بين دولتين فأكثر يتعلق ببعض الشؤون كالضرائب والنقد والبريد والصحة والعمل(مج).

[أقول: هي إذن صَكٌّ ما اتفق عليه: convention]

- الشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور.

٢٠- **الشخصية**: صفات تميّز الشخص من غيره. يقال فلان ذو شخصيّة قوية: ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل.

[وتُستعمل كلمة (الشخصيّة) صفةً منسوبةً بمعنى (الخاصة)، نحو: هذه حاجاتي الشخصية.]

- الاشتراك: مصدر فعل اشترك...

٢١- **الاشتراكية**:مذهب سياسي واقتصادي يقوم على سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج، وعدالة التوزيع والتخطيط الشامل.

- الشيوع: مصدر شاع الشيءُ، ظهر وانتشر...

٢٢- **الشيوعية**: مذهب يقوم على إشاعة الملكية، وأن يعمل الفرد على قدر طاقته، وأن يأخذ على قدر حاجته.

٢٣- **الرأسمالية**: النظام الاقتصادي الذي يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة (مج).

- الافتتاح: مصدر افتتح. افتتح العملَ: بدأه، نحو: جرى افتتاح المؤتمر في جوٍّ متوتر.

٢٤- **الافتتاحية**: المقال الرئيسي الذي تُفتتح به صحيفة أو مجلة.

٢٥- **الفَرديّة**: نُزُوع الفرد إلى التحرر من سلطان الجماعة. والفردية مذهب سياسي يعتدُّ بالفرد ويَحُدُّ من سلطان الدَّولةعلى الأفراد.

وأضيفُ أيضاً:

- التقدم: مصدر تقدَّم: صار قُدَّامًا.

٢٦- **التقدُّمية**: مذهب سياسي واقتصادي يدافع عنه أنصار التطور (التقدميون**!**).

- الإنتاج: مصدر فعل أَنْتَجَ الشيء: تَوَلّاه حتى أتى نِتَاجُه.

٢٧- **الإنتاجية** في الاقتصاد: العائد من سلعة أو خدمة في مدة ما، مقدراً بوحدات عينية أو نقدية، منسوبًا إلى نفقة إنتاجه.

- المَنْهج: الخطة المرسومة.

٢٨- **المنهجية**: نظام طرق البحث.

نقول هذا بحثٌ علمي يتميز بمنهج فذّ**!** أو: كان منهج عمل فلان كما يلي:...

ولكن نقول:... إن ذلك التخليط لا تُقِرُّه **منهجية** البحث العلمي**!**

- الإحصاء مصدر أحصى الشيءَ: عَرَفَ قَدْره.

٢٩- **الإحصائية**: إحصاء مبني على منهج علم الإحصاء، كإحصائية السّكان في بلدٍ ما.

٣٠- **العبقرية**: (مشتقة من عَبْقرْ). هي خاصيةُ مَنْ بلغ الثناءُ عليه الغاية، ولا يفوقه شيء.

- الخصوص: مصدر خصَّ.

٣١- **الخصوصية**: تدل على معنى (الخصوص) **وزيادة**. وقد أشار الأئمة إلى هذا بقولهم: التاء فيه **للمبالغة**، (المراد: تاء النقل).

فهل من السائغ أن نكرر قول الأئمة هذا في توجيه بعض المصادر الصناعية التي استُعملت حديثاً، مثل: الإمكانية والجمالية والاحتفالية...؟

إن شاء الله(*)

إذا شاء الله

لو شاء الله

- وردت عبارة (إن شاء الله) في القرآن الكريم أكثر من عشر مرات، مع ظهور الفاعل صريحًا (لفظ الجلالة)، نحو:

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: ٦٩].

أو استتارِهِ ضميرًا (هو) عائدًا إلى الله تعالى، نحو:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ [الفرقان: ١٠].

وفي جميع هذه الآيات – سنذكر بعضها – وردتْ أداة الشرط (إنْ):

﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٧٠].

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص: ٢٧].

﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢].

- ونقرأ في التنزيل العزيز في سورة (عَبَسَ):

﴿... قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾.

وفي الآية الأخيرة وردت – كما نرى – الأداة (إذا) ولم تردْ (إنْ)، فما تعليل ذلك؟

(*) نُشرت في مجلة المجمع، المجلد ٨٩، الجزء ١.

١ – من المعلوم أنَّ (إنْ) تكون أداة شرطٍ جازمة[٢]، وهي حينئذٍ «أبدًا مُبْهَمَة» كما قال الخليل، وتختص بالأمر المشكوك فيه (الذي قد يقع وقد لا يقع) لأن الجملة الشرطية تؤدي معنى الشك بطبيعتها.

ومن المقرر أن أداة الشرط الجازمة – مهما تكن صيغة فعل الشرط أو جوابه – تجعل زمن شرطِها وجوابها مستقبلاً خالصًا، نحو:

إنْ جِئْتني أكرمتُك.

إنْ تَجِئْني أُكْرِمْك. (مجيئُك قد يتحقق وقد لا يتحقق).

فإذا تأملنا الآيات المشار إليها، نجد أن الأمر المذكور في كلٍّ منها غير مُتَيَقَّن الوقوع، لأن وقوعه مُتوقفٌ على المشيئة الإلهية، ومُتَعَلِّق بالإرادة الربانية، وهذا ما تُعبِّر عنه أداة الشرط (إنْ).

٢ – ومن المعلوم أيضًا أن (إذا) تكون أداة شرطٍ غير جازمة[٣]، [إلا نادرًا

---

(٢) وتكون أيضًا:

- شرطية معترضة (وقيل إنها وصلية).
- نافية مهملة بمعنى (ما).
- نافية تعمل عمل (ليس).
- مخفّفة من (إنّ) – فتكون للتوكيد – ولا تعمل، ويؤتى بعدها باللام الفارقة.
- للتفصيل.
- زائدة.

(٣) وقد تتجرد (إذا) للظرفية المَحْض، غير متضمنة معنى الشرط، فتكون ظرفًا للحال بعد القسَم، نحو قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم:١]، و ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١]، فهي هنا بمعنى (حين). **وتكون للزمان الماضي**، نحو: ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ﴾ [الكهف: ٩٦]؛ **وللاستمرار في الماضي** دون الشرط، نحو: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١]، =

في الشعر]، غير أنها تُستعمل ظرفَ زمانٍ للمستقبل متضمنةً معنى الشرط. وهي لا تستغني عن الشرط والجواب، كأخواتها أدوات الشرط، و «تجيء وقتًا معلومًا» كما قال الخليل.

وأدوات الشرط غير الجازمة هي:

- أسماءٌ (إذا، لمّا)،
- وأحرفٌ (لو، لولا، لوما، أمّا).

وتختص (إذا) الشرطية **بالأمر المُتيقَّن** (أي المحقَّق الوقوع)، أو **المَظْنون** (أي المرجَّح وقوعه) ولكن الأول هو الأغلب، نحو:

- إذا أَقبلَ الشتاءُ أُقيم عندكم. (لا بدَّ أن يأتي الشتاء!).
- آتيكَ إذا احْمرَّ البُسْرُ. (والبُسْرُ لا بدَّ أن يحمرَّ، فهو التمر قبل أن يصبح رُطبًا).
- إذا جِئتني أَقرضْتُك المال(٤). (أنت على يقينٍ من مجيئه).

= ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ [البقرة: ١٤]. وتكون **للوقت المجرد**، نحو: صَلِّ إذا طلع الفجر، أي وقتَ طلوعه.

وهناك (إذا) الفجائية، وهي لا تأتي في صدر الجملة، ولا تحتاج إلى جواب، وعند سيبويه لا تضاف إلى الجملة الاسمية، وتُعرب حرفًا فجائيًّا والاسم بعدها مبتدأ، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ **إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ [الروم: ٤٨].

(٤) وتُؤوَّلُ (إذا) مع الشرط والجواب فيتَّضح أصل معناها. فقولك:

(إذا زُرْتني أكرمتُك) تأويله:

(أُكرِمُكَ حين زيارتِك). وقد تقدم الجواب هنا لينصِبَ الظرفَ (حين)، وتأخر الشرطُ لِيُجَرَّ (لِيُخْفَضَ) مضافًا إليه. والظرف (إذا) حلَّ محلَّه ظرفٌ بمعناه: (حين).

ولهذا تعلَّمنا أيام الطلب إعراب (إذا) هكذا: -

وتفسير الآيتين ٢١ و ٢٢ من سورة عَبَسَ المذكورة هو: يُميتُ اللهُ تعالى الإنسان، فيجعله في قبرٍ يُوارى فيه تكرِمةً له، ولم يجعلْه مطروحًا على وجه الأرض جَزَرًا للسِّباع والطَّير كسائر الحيوان (عن «الكشّاف» للزمخشري).

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴾ : مفعول المشيئة محذوف، والتقدير: إذا شاء إنْشارَهُ أَنْشَرَه، أي بعثه من قبره وأنشأَه النشأةَ الأخرى، وهذا أمر مؤكد يقيني لا بدَّ من وقوعه، عبّرت عنه الأداة (إذا)!

وقد تكرر ورود (إذا) في جميع الآيات التي جاء فيها ذِكر أحداث سوف تقع وتتحقق حتمًا، نحو:

- ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ ﴾ [الواقعة].

- ﴿... فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۝٣٤ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ۝٣٥ ﴾ [النازعات] .

- ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا...﴾ [الزلزلة].

[وقعت الواقعة: قامت القيامة، وهي قيام الناس من القبور للحساب!

الطامّة الكبرى: القيامة التي لا مثيل لها.

زلزلت الأرض: حُرِّكَت لقيام الساعة].

- ظرفٌ لما يُستقبل من الزمن، خافضٌ لِشرطِهِ، منصوبٌ بجوابه، مبني على السكون في محل نصب، متعلق بالجواب (أكرمتُك).

أما في أيامنا هذه فبعض المُعْربين يقول:

(إذا) اسم شرط غير جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان متعلق بالجواب (أكرمتُك).

و بعضهم يقول:

(إذا) اسم مبني على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية، متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب (أكرمتُك).

ونرى دقة ملاحظة الخليل أن (إذا) «تجيء وقتًا معلومًا». هذا الوقت – في الآيات المذكورة – هو يوم القيامة.

٣- ومن المعلوم أن (لو) تكون حرف شرط غير جازم[٥]، وهي كغيرها من أدوات الشرط لا بدَّ لها من شرط وجواب. ويقول النحاة: هي حرف امتناع لامتناع، أي تدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط (لم يتحقق الجواب لأن الشرط لم يتحقق).

ويكون فعل الشرط بعدها ماضيًا أو مضارعًا. أما جواب الشرط فلا يكون إلا ماضيًا أو في حُكم الماضي (مضارع مجزوم بلَمْ)، مقترنًا باللام أو عاريًا منها، نحو قوله تعالى:

﴿... وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [النحل: ٩٣].

﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ ...﴾ [يونس: ١٦].

﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠].

---

(٥) وتكون أيضًا:

- حرفًا مصدريًّا.
- وحرف تقليل.
- وحرف وصل.
- وحرفًا للعرض والتمنّي.

حاشية:

إذا كان جواب (لو) منفيًّا بـ (ما) فالأفصح عدم اقترانه باللام، كما جاء في الآيتين المذكورتين (سورة الأنعام وسورة يونس). وهذا ما قاله الناقد اللغوي البارع صبحي البصام رحمه الله، وهو أن عدم اقتران اللام بـ (ما) في هذه الحالة هو الاختيار في نثر الفصحاء. فقد قال الإمام عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه في خطبة له (نهج البلاغة / ١/ ٦٨): " فلو أن امرأً مسلمًا مات من بعد هذا أسفًا **ما** كان به ملومًا"، فقال (ما كان) ولم يقل (لَما كان)؛ وتكرر هذا في كلام الإمام (في نهج البلاغة) وغيره من الفصحاء. وقديمًا قال عنترة بن شدّاد في قصيدة طويلة:

لو كان قلبي معي ما اخْتَرْتُ غيرَكُمُ ولا رضيتُ سِواكم في الهوى بَدَلا
لكنه راغبٌ فيمن يُعذِّبُه فليس يقبل لا لَوْمًا ولا عَذْلا

الخلاصة:

الكلمات الثلاث (إذا) و (إنْ) و (لو) تكون أدوات شرط، وتكون غير ذلك.

١ - تختص (إذا) الشرطية بالأمر المحقق الوقوع، أو المظنون (أي المُرجَّح وقوعه)، والأول هو الأغلب.

٢- تختص (إنْ) الشرطية بالأمر المشكوك فيه (قد يقع وقد لا يقع).

٣- تختص (لو) الشرطية بالأمر الذي لم يقع لعدم وقوع أمر آخر.

أعمال الدكتور الحسني المنشورة

الكتب المؤلفة:

١- القياسات الفيزيائية وتحليل نتائجها. منشورات جامعة دمشق، ١٩٧٤ (٢٦٨ صفحة).

٢- الكهرباء والمغنطيسية. منشورات جامعة دمشق، ١٩٨١، ١٩٨٧، ١٩٩٠ (٣٢١ صفحة).

٣- المدخل إلى الفيزياء النووية. منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٣، ١٩٨٦ (٢١٣ صفحة).

٤- اللغة العربية لغير المختصين (بالاشتراك مع عدد من الزملاء) (١٤٣ صفحة). منشورات جامعة حلب ١٩٨٥/ ٨٦.

٥- الأمير جعفر عبد القادر الحسني- نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وأول مدير عام للآثار في سورية (١٣٢ صفحة). مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠١٢م.

٦- صفحات لغوية (ج١) (ط٢) (٩٢ صفحة). مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠١٤م.

٧- نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية (ط٣) (٢٩٦ صفحة). مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠١٥م.

الكتب المترجمة:

١- فيزياء عالم الصغائر. تأليف ك. ي. شولكين (موسكو ١٩٦٣). ترجمة بسام معصراني، مراجعة د. مكي الحسني. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٦٨ (٢٣٥ صفحة).

٢- محاضرات فاينمان في الفيزياء (بالاشتراك مع عدد من الزملاء). منشورات وزارة التعليم العالي في سورية. دمشق ١٩٧٤.

القسم الأول: الميكانيك (٧٢٧ صفحة).

القسم الثاني: الضوء والإشعاع (٣٢٧ صفحة).

القسم الثالث: الاهتزازات والترموديناميك (٤٨٧ صفحة) (كل قسم كتاب مستقل).

٣- النظائر المشعة في الحياة اليومية. منشورات هيئة الطاقة الذرية في سورية. دمشق ١٩٨٥ (٧٩ صفحة).

٤- معجم المصطلحات العلمية والتقنية في الطاقة الذرية (بالاشتراك مع عدد من الزملاء). منشورات هيئة الطاقة الذرية في سورية. دمشق ١٩٨٦ (١٣٢ صفحة)

٥- نشوء العصر الذري. تأليف أ. ماكاي (أكسفورد ١٩٨٤). منشورات دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق ١٩٩٣ (١٧٥ صفحة).

٦- المرشد إلى وحدات القياس. تأليف جاك ليبوا. (بروكسل ١٩٩٣). منشورات دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق ١٩٩٥ (١٥٢ صفحة).

٧- مستقبل العلم. إعداد أكاديمية العلوم الفرنسية (باريس ١٩٩١). منشورات دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق ١٩٩٥ (١٠٧ صفحة).

٨- البحث عن اللانهاية: حل أسرار الكون. تأليف فريزر + ليلستول + سيليفاك (كمبردج ١٩٩٤). (بالاشتراك مع الدكتور أحمد الحصري). منشورات دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق ١٩٩٧ (١٥٣ صفحة).